محاولة المهتدى بالله الإصلاحية
وأثرها على الخلافة العباسية

د/ على بن صالح المحيميد*

مقدمة :

يمثل الخليفة المهتدى بالله (حكم بين عامى ٢٥٥ و٢٥٦هـ / ٨٦٩ - ٨٧٠م) ، نموذجًا حيًا وصادقًا لمجموعة الخلفاء الصالحين الذين سطر التاريخ الإسلامى بمراحلة المختلفة سيرتهم وجهودهم الخيرة بحروف من نور ، فقد كان المهتدى بالله دينًا على منهج الخلفاء الراشدين ، وضعه الإمام السيوطى يرحمه الله ضمن الاثنى عشر خليفة الذين ورد ذكرهم فى الحديث الشريف : " لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش "(١) ، وقال عنه الإمام الحافظ ابن كثير : " لقد كانت خلافته بحمد الله خلافة صالحة "(٢) ، وامتدحه الإمام الذهبى قائلاً: " إنه من أحسن أهل زمانه "(٣) .

ولقد استهدفت المحاولة الإصلاحية التى تولى كبرها الخليفة المهتدى بالله قلب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعيةالمتردية التىعانت الخلافة العباسية من ويلاتها وآثارها السلبية منذ فجر عصرها الثانى الذى بدأ سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦ م بسبب ضعف السلطة المركزية فى العاصمة سامراء من ناحية ، وتفاقم نفوذ الموالى الأتراك ، وتدخلهم المستمر فى شؤون الخلافة من ناحية أخرى .

مدخل :(الحياة السياسية فىسامراء قبيل عهد المهتدى٢٣٢-٢٥٥هـ):

أضحت الخلافة العباسية منذ مطلع العصر العباسى الثانى ٢٣٢هـ / ٨٤٧م تئن تحت وطأة نفوذ العناصر التركية التى وفدت إلى حاضرة الخلافة العباسية فى العراق(٤) بأعداد هائلة أثناء عهد الخليفة المعتصم(٥) .

---

* أستاذ مساعد بكلية العلوم العربية والاجتماعية، بالقصيم جامعة الإمام محمد بن سعود.

وعندما اعتلى الخليفة المتوكل(٦) (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م) عرش الخلافة حاول مقاومة النفوذ التركى والتخلص منه ، فزج ببعض القواد الأتراك فى السجن(٧) ، وأقدم سنة ٢٣٥هـ / ٨٥٠م على خطوة جرئية أخرى هدفت إلى الحد من سيطرة الأتراك ، ومنعهم من التدخل فى شئون فى شؤون الخلافة ، وحرمانهم من اختيار الخليفة العباسى . ذلك أنه عقد البيعة لأبنائه الثلاثة : محمد المنتصر با لله(٨) ، والزبير المعتز با لله(٩) ، وإبراهيم المؤيد با لله(١٠)، وأقطع كلا منهم ناحية مهمة من بلدان الخلافة العباسية(١١) .

وبذلك حرم المتوكل الأتراك مما كان فى أيديهم من الولايات والمناصب المهمة . ومن الطبعى أن يولد هذا الإجراء كرها فى نفوسهم تجاه المتوكل ، فاشتد حقدهم عليه ، وأشاعوا الاضطرابات والفتن(١٢) داخل العاصمة العباسية سامراء(١٣) .

وقد شعر المتوكل بذلك فقرر الابتعاد عنهم ، وانتقل من العراق إلى الشام حيث وصل دمشق سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م سعيًا وراء كسب تأييد العناصر العربية التى كانت تشكل آنذاك غالبية سكان بلاد الشام . ولكن المتوكل لم يستطع تحقيق ما كان يصبو إليه ، بل شغب عليه جند الشام(١٤) فعاد إلى سامراء بعد أن غاب عنها قرابة شهرين(١٥) .

ولما عاد إليها وجد ابنه وولى عهده المنتصر قد تغير موقفه ، وصار يتعاطف مع بعض قواد الأتراك . فقام بعزله من منصبه ، وجعل ابنه المعتز وليًا للعهد . وعندئذ أنضم المنتصر إلى الأتراك ، وشايعهم ضد أبيه . فعزم المتوكل على الفتك بابنه وبعض أعوانه الأتراك (١٦) ، ولكنهم اغتالوه سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م ، وبايعوا ابنه المنتصر بالخلافة (١٧) ، وأوعزوا إليه عزل أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، فاستجاب لطلبهم وهم المتورطون معه فى قتل أبيه (١٨) . ثم انقلب عليهم وراح يسبهم فى مجالسه بقوله : " هؤلاء قتلة الخلفاء "(١٩) . ولما شعروا بالخطر دسوا

عليه طبيبه حيث فصده بريشة مسمومة مات متأثرًا بها سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م(٢٠). وبوفاة المنتصر اتفق الأتراك على حجب الخلافة عن أولاد المتوكل كى لا يجدو فرصة للأخذ بثأر أبيهم وأخيهم ، وبايعوا أحمد بن المعتصم(٢١) ، ولقبوه بالمستعين قائلين : " هو ابن مولانا "(٢٢) .

تولى المستعين الخلافة وقلّد عددًا من قواد الأتراك بعض المناصب فى الدولة، وأناب بعضهم عنه فى الولايات ، ثم فرق عليهم الأموال (٢٣) . ولكنه ما لبث أن غير معاملته لهم ، وأمر بقتل اثنين منهم ، فتنكروا له ، ثم خاف على نفسه منهم ولجأ سنة ٢٥١هـ / ٨٦٦م إلى بغداد(٢٤) .

وكان أن قرروا مبايعة المعتز بالله بن المتوكل ، وعندئذ أصبح للدولة العباسية خليفتان وحاضرتان فى آن واحد . أحدهما المعتز فى سامراء ، والآخر المستعين فى بغداد . واندلعت الحرب بين أنصار الخليفتين فكثر القتل ، وغلت الأسعار ، وعظم البلاء . ولم تضع هذه الحرب أوزارها إلا بعد أن أقدم المستعين على خلع نفسه سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٧م(٢٥) .

فى تلك السنة تولى المعتز الخلافة ، وكان أول إجراء قام به أنه خلع أخاه المؤيد من ولاية العهد ، وضربه ، وقيده فمات بعد أيام(٢٦) ، ثم قبض على أخيه طلحة الموفق(٢٧)، وزج به فى السجن، ثم سيره إلى بغداد وظل مقيمًا بها(٢٨).

وكان المعتز طيلة مدة حكمه واقعًا تحت سيطرة أمه (قبيحة)(٢٩) ، ولهذا أصبح مستضعفًا من جانب الأتراك الذين طالبوه بأرزاقهم ، فطلب من والدته بعض المال ، ولكنها رفضت . ولم يجد الأتراك بدًا من الهجوم عليه ، وأمروه بخلع نفسه ، فلما رفض خلعوه ، وسلموه إلى من يقوم بتعذيبه ، فمنعه من الطعام والشراب ثلاثة أيام ، ثم أدخلوه سردابًا وحصصوا عليه فمات(٣٠) . وعندئذ أحضروا محمد بن الواثق من بغداد وبايعوه بالخلافة سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م، ولقبوه المهتدى بالله(٣١) .

نبذة عن الخليفة المهتدى با لله :

هو أمير المؤمنين ، المهتدى با لله ، أبو عبد ا لله محمد بن الواثـق هـارون ابـن المعتصم محمد بـن الرشيد العباسـى (٣٢) . ولـد بالقـاطول(٣٣) فـى خلافـة جـده المعتصم سنة ثمان أو تسع عشر ومـائتين هجريـة(٣٤) وأمـه أم ولـد روميـة تسـمى قرب(٣٥) .

رشحه البعض لتولى منصب الخلافة عقب وفاة أبيـه الواثـق سـنة ٢٣٢هـ ، ولكن فئة من قواد الأتراك عارضوا هذا الإجراء بسبب صغـر سـنه ، فحـال ذلـك دون وصوله إلى الخلافة آنذاك(٣٦) . فجرى ترشيح المتوكـل جعفـر بـن المعتصـم مكانه فى الخلافة(٣٧) .

وقد بويع المهتدى بالخلافة فى آخر شهر رجب سنة ٢٥٥هـ ، وكان عمـره يومئذ سبعًا وثلاثين سنة ، وقيل : تسعًا وثلاثين سنة(٣٨) . ولما بويع أقر جعفر بـن محمود الاسكافى(٣٩) على وزارته ، ثم عزله(٤٠) واستوزر سليمان بن وهب(٤١) وجعـل صـالح بـن وصيـف(٤٢) حاجبًـا لـه وأسـند القضـاء إلى الحسـن بـن أبـى الشوارب(٤٣) .

يقول الخطيب البغدادى : " كان المهتدى با لله من أحسن الخلفـاء مذهبًـا ، وأجملهم طريقة ، وأظهرهم ورعًا ، وأكثرهم عبادة " (٤٤) . أما ابن العمرانى فقد قال عنه : " كان زاهدًا صوامًا قوامًا لم تعرف لـه زلـة ، سـهل الحجـاب ، كريـم الطباع "(٤٥) .

ويقول ابن الجوزى : " لم يزل المهتدى صائمًـا منـذ جلـس للخلافـة إلى أن قتل "(٤٦) .

وقد تحدث بعض المؤرخين عن سياسة التقشف التى انفرد بهـا هـذا الخليفـة عن غيره من خلفاء بنى العباس ، وذلك فى ملبسه ومأكله ومشربه وسـائر شـؤون

حياته ، فقد روى الخطيب البغدادى (٤٧) أن أحد أصحاب المهتدى تناول معه طعام الإطار فى رمضان ، وكان الطعام قطعًا قليلة من الخبز وبجانبها آنية فيها ملح وخل وزيت فدعا المهتدى صاحبه إلى الطعام ، ولكنه تأخر فى بدء بالأكل ظنًا منه أنه سيؤتى بطعام آخر . فقال له الخليفة : " كل فليس ها هنا من الطعام غير ما ترى" . وعندئذ تعجب صاحبه وحاول أن يثنيه عن إفراطه فى التقشف حيث أخذ يذكره بما أسبغ الله عليه من النعم ، وبما بسطه من الرزق وكثرة الخير، فرد عليه المهتدى ردًا بليغًا أبان فيه بعضًا من فصاحته فى القول ، وحكمته وتقديره للأمور، إذ قال لصاحبه : " إن الأمر لعلى ما وصفت فالحمد لله ، ولكنى فكرت فى أنه كان فى بنى أمية عمر بن عبد العزيز ، وكان من التقلل والتقشف على ما بلغك ، فغرت على بنى هاشم ألا يكون فى خلفائهم مثله فأخذت نفسى بما رأيت"(٤٨).

وكان الناس يروون عن سفيان الثورى (٤٩) قوله : " الخلفاء الراشدون خمسة ، ويُعدّ فيهم عمر بن العزيز " ، ثم أجمع الفقهاء ، وأصحاب الحديث ، والقرآن أن السادس هو المهتدى بالله(٥٠) .

وبينما المهتدى يُطل على الناس من أعلى قصره فى أحد الأيام سمع رجلاً يقول لآخر : نصبت ميزاب سطحك فى ملكى ، بينى وبينك أمير المؤمنين ، فسجد المهتدى ، ثم رفع رأسه وبكى ، وقال : الحمد لله الذى أرانى الدنيا هكذا، هذا والله قد طيب على الموت(٥١) .

وكان المهتدى يُكثر من الصلاة والركوع والسجود إلى أن يدركه الصباح، ويُكثر من الدعاء خصوصًا وقت الأفطار إذا كان صائمًا ؛ وكذلك كان يكثر من الدعاء على خصومه ويسأل ربه بأن يكف عنه شرهم(٥٢) . ولما قتل أخرج رجل من الموضع الذى كان هذا الخليفة يأوى إليه فأصيب له سفط(٥٣) مقفول فتوهم المقربون منه أن فيه مالاً أو جواهرًا ، فلما فتح وجد فيه جبة صوف ، وقيل جبة

شعر ، فلما سألوا خادمه ، أخبرهم أن المهتدى إذا جن عليه الليل لبسها وغل نفسه بها(٥٤) .

محاولة المهتدى الإصلاحية :

قبل أن نتطرق إلى محاولة المهتدى الإصلاحية يجدر بنا أن نشير إلى حال البيت العباسى نفسه وقت تسلم المهتدى مقاليد الخلافة .

ذلك إن البيت العباسى كان عندئذ يعانى من حالة ضعف وتفكك لم يسبق لها مثيل ، وذلك بسبب انصراف أكثر أبنائه عن شؤون الرعية ، وميلهم إلى حياة البذخ والترف ، وانسياقهم خلف أهواء الموالى الأتراك الذين أحكموا سيطرتهم على بعض المناصب المهمة فى الخلافة ، وتمكنوا من غرس بذور الفتنة بين أفراد الأسرة العباسية . وفأوجد ذلك جوًا من العداء والكراهية والشك فيما بينهم ودخلوا فى مشاحنات لا طائل من ورائها سوى إنهاك القوة العباسية ، والتقليل من محبة ومكانة العباسيين وهيبتهم فى قلوب الناس . فاستغل الأتراك ذلك وصاروا بمثابة حلقة اتصال بين الرعية والخلفاء(٥٥) . وكان القواد قد أجمعوا بعد أن خلع المعتز نفسه عن الخلافة على أنه ليس فى أولاد الخلفاء أفضل ولا أعقل من محمد بن الواثق(٥٦) .

ولما تبوأ المهتدى مكانه فى دار الخلافة وجد أن الفرصة باتت مواتية لتحقيق ما كان يدور فى ذهنه من قبل . إذ لم يستطع هذا الخليفة تحمل رؤية مظاهر الفساد والفوضى وقد أضحت تعم أرجاء الدولة ، فكان أول إجراء إصلاحى أقدم عليه حينما جرى ترشيحه للخلافة رفضه قبول البيعة من أحد ما لم يعلن سلفه الخليفة المعتز أمام الملأ عدم قدرته على تصريف أمور الخلافة ، ورغبته فى تسليمها إليه عن رضا وقناعة واختيار منه . وكان المهتدى قد قال لأنصاره حينما تقدموا إلى مبايعته المثل السائر :" لا يجتمع فحلان فى شول، ولا سيفان فى غمد" (٥٧).

ولما حضر المعتز ومثل أمام المهتدى سلم عليه بالخلافة ، فطلب الحاضرون من المهتدى أن يأخذ مكانه فى صدر المجلس ، ولكنه أبى ، وقال : " لا ارتفع على العرش إلا أن يرفعنى الله بخلافته " . ثم تحدث إلى ابن عمه المعتز قائلاً : "يا أمير المؤمنين خلعت أمر البرية من عنقك طوعًا ورغبة ، وكل من كانت لك فى عنقه بيعة فهو برئ منها " فأجابه المعتز إلى ذلك ، ثم قام المهتدى إلى صدر المجلس ، وبايعه الناس فى سامراء(٥٨) .

ويبدو أن المهتدى قصد من وراء قيامه بهذا الإجراء تحقيق أمور عدة :

أولها : أن يؤكد لمن حوله بأن وصوله إلى الخلافة لم يكن مغنمًا وهدفًا قد خطط له وسعى من أجل الوصول إليه ، بل كان مغرمًا وجد نفسه فجأة فيه .

ثانيها : إنه كان يخشى من وقوع فى الفخ نفسه الذى نصبه بعض قواد الأتراك من قبل للخليفة المعتز حينما بايعوه بالخلافة ووافقهم على ذلك ، بينما كان سلفه المستعين ما زال قائمًا على رأس الخلافة فى بغداد ، فأدى ذلك إلى تأجج نيران الفتنة أواخر سنة ٢٥١هـ / ٨٦٦م بين المعتز وأنصاره فى سامراء والمستعين وأعوانة فى بغداد ، وسقط فيها عدد ليس بالقليل ما بين قتيل وجريح(٥٩) .

ثالثها : حاول الحصول على أوسع تأييد ، حيث إن مبايعته الشعبية المسبقة تعد بمثابة تأييد لكل ما كان يخطط لتنفيذه من إصلاحات إدارية واجتماعية .

لقد أدرك المهتدى بثاقب نظره وحكمته وتواضعه أن يبدأ قبل فرض محاولته الإصلاحية على عامة الناس بإصلاح البيت العباسى نفسه من الداخل ، بعد أن انغمس أكثر أفراده فى الملذات فحرى بهم إن يكونوا فى سائر أحوالهم وتصرفاتهم قدوة حسنة ومثلاً أعلى للناس كافة . ولكن المهتدى قبل أن يأمر أهل بيته بذلك ، بدأ أولاً بنفسه حيث عاش حياة زهيدة مما جعل أهل عصره يشبهونه بالخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز .

قال عنه الإمام الأزدى فى أخبار الدول المنقطعة : " يكاد يكون فى الهاشميين كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية هديًا وصدقًا "(٦٠) .

وقال عنه مؤرخ آخر : " لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن العزيز أصلح منه "(٦١) ، وكان المهتدى كثيرًا ما يردد قوله : " إنى لأستحى أن يكون لبنى مروان عمر بن عبد العزيز وليس لبنى العباس مثله ، وهم آل الرسول عليه الصلاة والسلام وبه ألزم ، وإليه أقرب "(٦٢) .

وكان المهتدى يلبس الصوف الخشن تحت ثيابه ، وظل فى أثناء خلافته يلبس الثوب الواحد فيبقى عليه أيامًا كثيرة لا يستبدله بغيره(٦٣) . وكان يقول : " لو لم يكن الزهد فى الدنيا ، والإيثار لما عند الله من طبعى لتكلفته وتصنعته فإن منصبى يقتضيه ، أنى خليفة الله فى أرضه ، والقائم مقام رسوله ، النائب عنه فى أمته "(٦٤) .

ولما تولى المهتدى الخلافة صار يحضر كل جمعة إلى المسجد الجامع فيخطب بالحاضرين ، ويعظهم ويذكرهم بالآخرة ، ويصلى بهم(٦٥) .

وكان المهتدى قد انفرد بعمله هذا عن غيره من خلفاء العصر العباسى الثانى الذين سبقوه فقد كان هؤلاء يندبون عنهم من يخطب بالناس أيام الجمع والأعياد(٦٦) .

لقد أبطل المهتدى إبان خلافته الملاهى ، وأمر بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراء(٦٧) ، وأمر بطمس وإحراق الصور التى كانت فى المجالس، وبإخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم ، وأمر بذبح الكباش والديوك التى كان يناطح بها بين يدى الخلفاء(٦٨).

كذلك أولى المهتدى النواحى المالية قدرًا كبيرًا من الأهمية ؛ إذ كان يعلم أن السياسة المالية ذات قيمة كبرى فى سير أعمال الدولة ، بل هى العنصر النابض

فى حياة الأمم ، وكثير من المشاكل تحدث من سوء التنظيم المالى . ولـذا فقـد بـدأ هذا الخليفة بنفسه وخصص مائة درهم يوميًا لنفقاته الشخصية(٦٩) ، وبلغ إجمـالى نفقاته على أهله وولـده وخدمـه وحشـمه طـوال مـدة حكمـه خمسـة عشـر ألـف دينار(٧٠) فى حين كان الخلفاء الذين سبقوه ينفقون على موائدهـم فـى كـل يـوم عشرة آلاف درهم(٧١) .

واتسعت دائرة إصلاحاته المالية فشملت رواتب الجنـد حيـث قـرر أن تدفـع هذه الرواتب على أساس الأيام بدلاً من الشهور ، ليكـون فـى مـأمن مـن ثـورات الجند ، حتى إذا نقصت الأموال فى خزينة الدولة حسم ذلـك اليـوم عليهـم بـدون مشاغبة(٧٢) .

ولما كان الجيش العباسى يتألف من فرق عسـكرية عـدة تشـكلت علـى مـر العصور وتعاقب الخلفاء ، فقـد رأى المهتـدى أن تدفـع رواتـب الجنـد فـى الجيـش العباسى على حسب نوعية الفرق العسكرية التى ينتمـون إليهـا ، فقـد كـان الفـرد الواحد من فرقة الأتراك يتقاضى درهمين يوميًا مقـابل درهـم واحـد لزميلـه الـذى يخدم فى فرقة المغارية " المنسوبة إلى مصر "(٧٣) .

وما من شك أن هـذا التمـيز فـى مرتبـات الجنـد العباسـى وإعطـاء الأتـراك أفضلية دون غيرهـم ، يعكس بوضوح مدى قوة نفـوذ العنـاصر التركيـة وتحكمهـم فى مركز القرار السياسى داخل البلاط العباسى ، كما أنه يبين مدى الضعف الذى بلغه العنصر العربى إبان هذه المرحلة فى تاريخ الدولة العباسية .

لقد كان المهتدى يقصد من وراء تلك الإصلاحـات الماليـة ترشـيد النفقـات العسكرية ، والعمل على الوصول إلى توازن مصروفات الخلافة مـع إيراداتهـا التـى أختلت أمورها فى عهود من سبقه ، لدرجة أن خزينـة الدولـة عنـد توليـه الخلافـة أصبحت شبه خاوية بعد أن عبث بها القادة الأتراك وبعض نساء وأمهات الخلفاء.

ولما كانت فترة الفوضى السياسية التى سبقت خلافة المهتدى قد أتاحت الفرصة لبعض ضعاف النفوس فى الوصول إلى المراتب العليا فى الدولة ، كالوزارة والدواوين العامة وغيرها ، فأساءوا استخدام هذه المؤسسات وأخفقوا فى إدارتها لأنهم جاءوا إليها بقصد تحقيق مكاسب ذاتيه لهم ، فقد باشر المهتدى الإشراف بنفسه على الخراج والدواوين حيث خصص يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع للجلوس فيها والكتاب بين يديه يقومون بعمل الحسابات(٧٤) .

ولما تبين له أن جماعة من الوزراء والرؤساء أهملوا فى أعمالهم لم يتوان فى القيام بتأديبهم ، حيث فوض أمرهم إلى كبير حجابه صالح بن وصيف فسجن الوزير أحمد بن إسرائيل(٧٥) والكاتب عيسى بن إبراهيم(٧٦) ، ثم أمر بإخراجهما إلى باب العامة فى سامراء وجلد كل واحد منهما خمسمائة سوط ، ثم طيف بهما على بغلين أمام الناس وماتا متأثرين بذلك(٧٧) .

لقد بالغ الحاجب ابن وصيف فى تعذيبهما بهدف التخلص منهما ، فقد فعل فيهما ما لم يطلبه الخليفة منه ، إذ إن المهتدى لما بلغه ما حل بهذين الكاتبين غضب عليه ، ومن شدة تأثره بما حدث لهما قال : " أما عقوبة إلا السوط أو القتل؟ أما يقوم مقام هذا شئ ؟ أما يكفى ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون " وكان يقول ذلك ويسترجع مرارًا(٧٨) .

لقد كان المهتدى با لله خليقًا للإمارة ، بطلاً ، شجاعًا ، قويًا فى أمر الله(٧٩) ، حازمًا ضد من يخرج عن جادة الصواب حتى ولو كان من أفراد أسرته فقد طال عقابة ثلة منهم لما بلغه أنهم اختلسوا شيئًا من أموال الدولة فأصدر قرارًا بنفى قبيحة والدة المعتز وابنها عبد الله(٨٠) ومعهما أبا أحمد الموفق إلى مكة(٨١).

وأهتم الخليفة بالمهتدى بالقضاء وشهدت خلافته - رغم قصرها - انتعاشًا لمكانة القضاء ، فنظر الناس إليه بشئ من الإكبار والإعجاب(٨٢) . ولم يتردد فى

تأديب اثنين من قضاة سامراء ، هما حماد ابن إسحاق(٨٣) ، والحسن بن أبى الشوارب ، حيث أمر بإركاب الأول على بغل وطيف به فى سامراء ، ثم نفاه إلى الأهواز(٨٤) ، وذلك عندما بلغه أنه كاتب دون علمه ابن عمه الموفق أثناء إقامته فى منفاه بمكة(٨٥) . أما القاضى الثانى فقد عزله المهتدى عن القضاء وألقاه فى السجن سنة٢٥٥هـ / ٨٦٩م وولى بدلاً منه القاضى عبد الرحمن البصرى(٨٦) .

ويأتى هذا الإجراء فى إطار حملة قام بها المهتدى ضد بعض ذوى المناصب المرموقة فى الدولة ، كالوزير الإسكافى والحاجب ابن وصيف ، بعد أن كثر كلام الناس فيهم ، وفى سوء سيرتهم ، وميلهم الشديد إلى الدنيا(٨٧) .

لقد شيد المهتدى فى عهده قبة لها أربعة أبواب سماها (قبة المظالم) ، وجلس فيها للخاصة والعامة من الناس ، حيث صار يخاطب أصحاب الحوائج بنفسه(٨٨) . وكان المهتدى إذا جلس للمظالم أمر بأن توضع كوانين الفحم عندما يشتد البرد فى أروقة ومنازل قبة المظالم ، فإذا أدخل المستظلم أمر بأن يدفأ ويجلس ليسكن ويثوب إليه عقله ، ويتذكر حجته ثم يدني ويسمع منه ويقول : كيف يُدلى المتظلم بحجته إذا لم يُفعل به هذا وقد تداخلته رهبة الخلافة وألم البرد ؟(٨٩) .

ولما علم المهتدى بأن عمال الخراج دأبوا منذ عصر خلفاء بنى أمية على مطالبة أهل البلدان بدفع الكسور فى الأوزان والمعاملات المالية ، رفض ذلك وأمر بإسقاطه عن الناس ، وقال : " معاذ الله إن ألزم الناس ظلمًا تقدم العمل به أو تأخر ، على أن أقرر حقًا وأزيل ظلمًا وأن أجحف بيت المال "(٩٠) .

وانتشر خبر إنصافه وعدله فى سائر الأقطار الإسلامية فقصده الناس من كل مكان ، فقد كان يجلس للنظر فى أمور المسلمين فى دار العامة ، فتقرأ عليه قصص الناس من أولها إلى آخرها . فيأمر بالتوقيع فيها وإنشاء الكتب لأصحابها وتختم وتُدفع إلى صاحبها بين يديه(٩١) . وكان قد قدم عليه رجل من مدينة الرملة(٩٢)،

وأعطاه كتابًا يشكو فيه من ظلم عامله على هذه المدينة ، فأخذه المهتدى ، وكتب فيه أسطرًا بخطه إلى الوالى يأمره بإنصافه . ولما أراد هذا الرجل الانصراف من مجلس الخليفة سقط مغشيًا عليه فنهض المهتدى يعاينه بنفسه حتى أفاق وسأله عن سبب ذلك فأجابه بأنه ما كان يتوقع أن يعيش حتى يرى هذا العدل . فقال المهتدى : كان الواجب علينا أن ننصفك وأنت فى بلدك ولا تحتاج إلى كل هذا التعب والكلفة ، وأعطاه خمسين دينارًا من بيت مال المسلمين ، وقال له : " إنى لا أملك مالاً فخذها لنفقتك قادمًا وراجعًا ، واجعلنا فى حل من تعبك وتأخر حقك "(٩٣) .

ولما وقعت فى عهد المهتدى خصومة بين أحد أبنائه ورجل من سامراء لم يتوان لحظة واحدة فى استدعاء ابنه وطلب منه بأن يقف بجوار خصمه ، فسأله عما ادعاه عليه ، فأقر به ابنه ، وعندئذٍ أمر برد حقه عليه ، وكتب إليه الخليفة كتابًا بذلك ، فقال له الرجل : والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قال الشاعر:

حَكّمتموه فقضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر

لا يقبل الرشوة فى حكمه ولا يبالى غبن الخاسر

فقال المهتدى : أما أنت أيها الرجل فجزاك الله خيرًا ، وأما أنا فما سمعت بهذا الشعر ، ولكنى أذكر قول الله عز وجل : ﴿ وَنَضَعُ الْموَازِينَ القِسْطَ لِيَومِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيئًا وإِن كان مثْقَالَ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٩٤).

وقد أحاط المهتدى العلماء ببره ، وإحسانه ، ورفع منازل الفقهاء والأدباء والكتاب فكانوا لا يفارقون مجلسه . ومن أبرز هؤلاء العلامة شيخ الحنفية أبى بكر الشيبانى المعروف بالخصاف(٩٥) ، الذى صنف كتاب "الخراج" للمهتدى ، ولما قُتِل هذا الخليفة نهبت دار الخصاف ، وذهبت بعض كتبه(٩٦) . ومن الكتاب

المبرزين فى دواوين المهتدى الوزير الكبير والكاتب الشهير سليمان بن وهب ، روى أنه كان جالسًا فى مجلس المهتدى فدفع إليه هذا الخليفة كتابًا ليجيب عليه ، فلما قام قال المهتدى : " ليس فى صناعته له نظير ، غير أنه يُفْسِد نفسه بحبه الشديد للمال "(٩٧) .

ولقد أنشد البحترى(٩٨) قصيدة بديعة فى المهتدى وصف فيها زهده وسيرته وأولها :

إذا عرضت أحداج ليلى فنادها سقتك غوادى المن صوب عهادها

ولما فرغ البحترى من إنشاد هذه القصيدة اعتذر منه المهتدى لأنه ليس لديه مال يكافئه به ، ولا يرى له حقًا فى بيت المال فيعطيه منه . وأحضر بعض أفراد أسرته وقال لهم : " أبو عبادة - يقصد البحترى - خطيب بيتنا ، وشاعر دولتنا ، وليس فى يدى شئ سوى أموال بيت المال وهى وديعة فى يدى ، والله يسألنى عنها يوم القيامة ، ويحاسبنى عليها . فأجيزوا أبا عبادة عنى . فجمعوا له فى الحال مائة ألف درهم . فقال المهتدى : يا أبا عبادة والله ما ملكت عُشرها قط ولا أملكه إن شاء الله "(٩٩) .

وهكذا كان المهتدى حريصًا على استقرار الأمور الداخلية فى عهده كى يتسنى له المضى قدمًا فى تنفيذ محاولته الإصلاحية دون أن يواجه عقبات تذكر . واقتضى ذلك منه أن يقف فى بداية عهده على الأقل موقفًا وسطًا من الحركات الفكرية والمذهبية التى كانت تموج بها بعض الولايات الإسلامية ، وخصوصًا فى مدن العراق والمشرق الإسلامى . ولكنه لم يتردد رغم ذلك فى المجاهرة فور توليه بمناصرته للسنة وأهلها وبعدائه للتشيع وأهله . وذلك عكس السياسة التى انتهجها قبله كل من جده المعتصم وأبيه الواثق . وأقوى دليل على ذلك قيامه بنفى وزيره جعفر الإسكافى إلى بغداد حينما بدرت منه تصرفات توحى بميله إلى الشيعة(١٠٠).

وكان المهتدى لما ذاكره أحد أصحابه بقضية خلق القـرآن الكريـم وموقـف أبيه وجده من الممتنعين عن القول بذلك ، كالإمام أحمد بن حنبل(١٠١) ، أقر بأنـه ظل يقول : إن القرآن مخلوق صدرًا من خلافة أبيه الواثق حتى سمع منـاظرة جـرت فى عهد أبيه فرجع عن هذه المقالة منذ ذلـك اليوم . وقـال المهتـدى لصاحبـه : " رحم الله أحمد بن حنبل ، والله لو جاز لى أن أتبرأ من أبى لتبرأت منه "(١٠٢).

ونخلص مما سبق : إلى أن الإصلاح الذى حاول المهتدى القيام به كان متسع النواحى ، فقد بدأ بنفسه ثم انتقل إلى أسرته ليعطى المثل الكامل لشعبه ، ولأولئـك الجند والموالى الذى يحيطون به ، وكذلك أصحاب المصالح الذين حاولوا عبثًـا ثنيه عن المضى فى مشروعه الإصلاحى . ولكنه أصـر علـى موقفـه ، ورفـض الإذعـان لرغبتهم فأجبرهم على قبول ما كان يعتزم القيام به ، والانطلاق فى ذلك إلى أبعـد مـدى : حقًـا لقـد امتـدت يـده الإصلاحيـة إلى الجوانـب السياسية والاجتماعيـة والاقتصادية ، فأعاد لبيت المال توازنه ، وحفظ للقضاء مكانته ، وجلس للمظالم ، وأشرف بنفسه على أعمال الدواوين ، فكان من البدهى والحالـة هـذه أن تسـتقيم الأمور ، ويسود قدر من العدل والإنصاف أكثر من ذى قبل فى عهده .

أسباب فشلها :

كـادت محاولـة المهتـدى الإصلاحيـة تـرى النـور ، وتؤتـى ثمارهـا ، ولكـن الأوضاع العامة من حوله كانت فوق طاقته . ففـى مسـتهل خلافتـه بـدأت الفـتن والاضطرابـات ، وظهـرت بعـض حركـات المعارضـة السياسـية والمذهبيـة التـى لم يقتصر ظهورها على حاضرة الخلافة العباسية سامراء فحسب ، بل قامت فى مـدن وأقاليم شتى داخـل العـراق وخارجـه مثـل بغـداد والبصـرة(١٠٣) والموصـل(١٠٤) وسجستان(١٠٥) غيرها .

وقد لخص الطبرى مجمل حال الخلافة أبان عهد المهتدى بقولـه : " وكـانت ولايته والدنيا كلها من أرض الإسلام مفتونة "(١٠٦) .

أما ابن الأثير فقد شخص هو الآخر واقع الخلافة آنذاك قائلاً : " ولما ولى - يقصد المهتدى - كانت الدنيا كلها بالفتن منسوخة "(١٠٧) .

ويقول بعض المؤرخين(١٠٨) : " لقد كان المهتدى با لله بطلاً ، شجاعًا، مهيبًا ، قويًا فى أمر ا لله ، كأنما خلق للإمارة لكنه لم يجد معينًا ولا ناصرًا على الحق ، والوقت قابل للإدبار " .

وقد بدأ العلامة ابن خلدون(١٠٩) حديثه عن هذا الخليفة بقوله : "كانت الفتن فى عهده قائمة ، والدولة مضطربة ، فشمر لأصلاحها لو أمهل ، لكن ابن وصيف غلب على أمره " .

والواقع أن محاولة المهتدى الإصلاحية لم تكن من الأساسى محل رضا وقبول من بعض العناصر المتسلطة داخل البلاط العباسى ؛ إذ إن من شأن نجاحه فى ذلك سلب هؤلاء كل الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها . وهذا يفسر رياح المعارضة التى أثاروها فى وجه هذه الحركة ، ويفسر مجاهرتهم فى وجه الخليفة بعدم تقبلهم لخطواته الإصلاحية ، فقد قالوا له : تريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يألفوها فى خلافة من سبقك ! ولكن المهتدى تصدى لهم بكل حزم وإصرار قائلاً : " أريد أن أحملهم على سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأهل بيته والخلفاء الراشدين "(١١٠) . ثم عادوا إلى الحوار معه وقالوا : ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى الآخرة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم . وأنت إنما رجالك تركى وجزرى ومغربى وغيرهم من العجم ، لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم ، وإنما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا ، فكيف تحملهم على ما ذكرت من الواضحة . وقد دار بينه وبينهم جدل طويل فى هذا الأمر حتى استطاع فى النهاية أن يجبر كثيرًا من معارضيه على تقبل سياسته الإصلاحية(١١١) .

وبدهى القـول أن بـروز هـذه المعارضـة المبكـرة ضـد لإصلاحـات المهتـدى كانت كفيلة بإحباط معنوياته أو على الأقل تثبيط عزيمته عن المضى قدمًا فى تنفيـذ ما كان يسعى إليه ، ومع ذلك كان المهتدى على يقـين تـام بـأن هـذه المشـكلات التى بدأت فى الظهور هنا وهناك ، لم تكن موجهة ضده شـخصيًا وليـس الغـرض منها النيل من ذاته ، أو الاعتراض على توليه هذا ، المنصب بقدر مـا كـانت تعبيرًا صريحًا عن رفض الرأى للواقع المريـر الـذى أضحـت الخلافـة العباسـية تئـن تحـت وطأته ، منذ أن تغلبت العناصر التركيـة علـى شئونها ابتـداء مـن العصـر العباسـى الثانى (٢٣٢هـ / ٨٤٧م) حتى عصر المهتدى بـا لله . فقـد شـهدت هـذه الحقبـة الزمنية القصيرة تولى عدد من الخلفاء الذين لم يكونوا مؤهلين أساسًـا للوصـول إلى هذا المنصب فقد كان بعضم ضعيف الشخصية أو صغير السـن ، وبعضهـم الآخـر غير مبال بأحـوال الرعية ، وكان منصرفًا تمامًا عن شئون الدولة . وقد ذكرنا فـى – مدخل هذا البحث – نماذج من هؤلاء كالمنتصر والمستعين والمعتز .

ولعل من سوء حظ المهتدى أن ترشيحه للخلافـة جـاء بعـد أولئـك الخلفـاء مباشرة ، فى الوقت الذى كان الناس قد يئسوا فيه من ظهور خليفـة لديـه الكفايـة والمقدرة على إصلاح وتجديد أوضاع الخلافة .

ولهذا كانت النفوس مهيأة لشق عصا الطاعة على الخليفة الجديـد ، بعـد أن ضاق الناس ذرعًا وسئموا من عدم وفاء الخلفاء الذين سبقوه بالوعود التى قطعوهـا على أنفسهم لتبديل حال الخلافة .

ومن ثم نظر الناس إلى سياسة المهتدى على أنهـا امتـداد لسياسـة مـن سـبقه خصوصًا تجاه الأتراك ، إذ كانت هذه السياسة ترمى إلى تقريب هؤلاء من البـلاط العباسى ، ومنحهم المناصب المهمة فى الدولة ، وإغداق الأموال الطائلة عليهم .

لقد سار أوائل خلفاء العصر العباسى الثانى على ذلك النهـج اعتقـادًا منهـم أن مثل هذا الإجراء مـن شأنه أن يقـوى الصـلات بينهـم وبـين أولئـك الأتـراك ، وبالتالى يكون فيه ضمان لسلامتهم وبقائهم أطول مدة ممكنة فى الحكم العباسى.

وكانت فى طليعة المشكلات التى واجهت المهتدى أنــه لمـا جـرى ترشيحه للخلافة أواخر شهر رجب سنة٢٥٥هـ / ٨٦٩م ، تردد أهل بغداد فـى مبايعتـه إذ فضلوا عليه الموفق بن المتوكل(١١٢) ،فكان ذلك الحدث غير المتوقـع بمثابـة صدمـة للمهتدى بالله فى فجر حياته السياسية ، وهو الذى كان قد قبـل منصـب الخلافـة بغرض الإصلاح ، والعمل على تطهير مؤسسات الدولة من كـل مظـاهر الفسـاد التى كانت تفشت بها .

ورغم أن بعض المؤرخين (١١٣) قد ذكروا أن سبب إقدام بغداد علـى هـذه الخطوة يعود إلى عدم معرفتهم بما جرى فى العاصمة سامراء من إجماع الناس علـى ترشيح المهتدى للخلافة ، فإننا نرى أن أهل بغـداد فضلـوا الموفـق علـى ابـن عمـه المهتدى لكون الأول يقيم بينهم فى بغداد . هـذا بالإضافـة إلى أنـه كـان شـخصية قياديـة بـارزة وقتـذاك ، بعكـس المهتـدى ، الـذى لم يكـن معروفًـا علـى المسـرح السياسى فى الدولة العباسية .

فالموفق هو ابن الخليفــة المتوكـل ، وأخـو الخليفتـين المنتصـر بـالله والمعـتز . وكان قائد جيش الخلافة فى عهـد أخيـه المعـتز ، فضـلاً عمـا كـان يقـوم بـه مـن نشاطات سياسية أخرى فى خلافة أخيه ألقـى بسـببها فـى السـجن ، ثـم نفـى إلى البصرة ، ولكنه أعيد إلى بغداد قبيل وفاة أخيه ، وتولى المهتدى الخلافة(١١٤) .

ويبدو لنا أن ما حصل من أهل بغداد تجاه الموفق كان له صلة وثيقة بـالقرار الـذى اتخـذه المهتـدى حينمـا تـولى الخلافـة ، حيـث قـام بنفـى الموفـق إلى مكـة المكرمة(١١٥) .

وكان والى الشرطة فى بغداد سليمان آل طاهر(١١٦) قد حاول إجبار الناس على مبايعة المهتدى بـالقوة ، فغضـب هـؤلاء وهـاجموا داره(١١٧) . ولمـا وصلـت الأنباء إلى المهتدى فى سامراء ، طلب من الوالى عـدم اللجـوء إلى اسـتخدام القـوة

لثنى الناس عن رغبتهم ، فما كان من الوالى إلا إن قام بتوزيع الأموال عليهم ، فسكنت الفتنة وأقبل سكان بغداد على مبايعة المهتدى با لله(١١٨) .

ولم يكد الخليفة يفرغ من فتنة العامة فى بغداد حتى أثار الجند فتنة أخرى ، وذلك احتجاجًا على إيواء والى الشرطة نفسه جموعًا من الخراسانين الفرس الموالين للدولة الطاهرية(١١٩) ، وكان هؤلاء أثناء إقامتهم فى بغداد قد أساءوا معاملة أهلها ، وارتكبوا أعمالاً شنيعة ، فحقد الناس عليهم ، وتطورت هذه الفتنة بعد أن رأى أهل بغداد تعاطف الوالى مع أولئك الفرس لدرجة أنه اختلس أموال الجند وقام بتوزيعها عليهم . وعندئذٍ لم يستطع الجند كبت مشاعر الغيرة والغضب ، فأعلنوا العصيان على الخليفة ، ووجدوا مساندة قوية من عامة الناس التى لم تهدأ ثورتهم بعد ، وبذلك خرجت بغداد مرة أخرى عن طاعة المهتدى با لله(١٢٠) .

وقد اشتدت هذه الفتنة ضراوة عندما اقتحم الجند السجن فى بغداد ، وأطلقوا سراح السجناء . واندلعت الحرب بين الخراسانيين وجند بغداد فى الشوارع والميادين ، فاضطر القائد الخراسانى محمد بن أوس(١٢١) إلى النزوح ناحية مناطق الجزيرة الفراتية ، واقتفى أثره حوالى مائة ألف شخص من أهل بغداد وعسكرها ، واشتبك الطرفان فى شمال العراق حتى حلت الهزيمة بالخراسانيين(١٢٢) .

ونتيجة لذلك أصبح موقف والى الشرطة ابن طاهر حرجًا للغاية أمام المهتدى با لله ، نظرًا لانتماء الوالى المذكور إلى الأسرة ذات النفوذ القوى فى كل من بغداد وخراسان . وتفاقم خطر هذه الفتنة ربما يؤدى إلى فقدان أسرته تلك المكانة المرموقة التى كانت تحظى بها آنذاك لدى البيت العباسى . لذلك طلب ابن طاهر من القائد الخراسانى محمد بن أوس أن يرحل نهائيًا عن إقليم العراق ، وأن يعود مع إتباعه إلى خراسان(١٢٣) .

ونلحظ مما سبق أن جانبًا من علة الخلافة الحقيقة فى عصر المهتدى بالله يكمن فى وجود ولاة غير مخلصين له ، فابن طاهر على سبيل المثال انحاز إلى أبناء جنسه الفرس وأهمل مصلحة الخلافة ، فاستفحل أمر الفتنة التى كان الوالى سببًا فى نشوئها ، وتعد واحدة من العقبات التى واجهت المهتدى فى مستهل خلافته ، واعترضت طريق حركته الإصلاحية .

ومن المشكلات التى شُغل بها فكر الخليفة المهتدى بالله فى بداية حكمه الخلاف الذى نشب بين كبير حجابه صالح بن وصيف ووالدة الخليفة المعتز قبيحة التركية ، فقد كانت هذه المرأة ذات نفوذ ومال وجاه فى عهد ابنها . وقد تواطأت مع نفر من أنصارها على قتل صالح بن وصيف الذى كان وقتذاك مُقدّم قواد الأتراك ، ولكنه اكتشف هذه المؤامرة ، فلما قُتِل ابنها اختفت داخل سرب فى قصرها وظلت فيه مدة من الزمن(١٢٤) .

ولما تولى المهتدى الخلافة اضطرت إلى الخروج ، وسعت إلى مصالحة ابن وصيف ، فوافق على طلبها ، شريطة أن تسمح له بمصادرة أموالها التى قدرت بـ (مليون وثمانمائة ألف دينار) . هذا فضلاً عما عُثِر عليه لديها من خزائن وجواهر مدفونة تحت الأرض . فوافقت على تسليم هذه الأموال إليه(١٢٥) .

لقد أوجس المهتدى خيفة فى نفسه من ظهور قبيحة والدة المعتز ، كما أقلقته محاولتها الرامية للتقرب من حاجبه ابن وصيف ، وذلك بهدف إحياء ما كان لها من نفوذ وجاه فى خلافة ابنها ؛ إذ أن ذلك يشكل تهديدًا لسلطته ولمحاولته الإصلاحية . وهذا ما دفعه إلى إبعادها عن العاصمة سامراء ، فنفاها إلى مكة المكرمة ، حيث سيرت إليها بصحبة بعض رجاله ، وظلت فيها إلى أن تولى المعتمد على الله(١٢٦) الخلافة سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م فردها إلى سامراء(١٢٧) .

ومن أهم العقبات التى واجهت المهتدى بالله فى مبتدأ خلافته ، وكان لها دور مؤثر فى إرباك خطته الإصلاحية ثورة الزنج التى اندلعت فى شوال سنة٢٥٥هـ / ٨٦٩م قرب مدينة البصرة فى جنوب العراق(١٢٨) .

وكان زعيم الزنج قد أدعى أنه ينتسب إلى آل البيت(١٢٩) ، وأراد أن يستغل الفوضى السياسة والاجتماعية الضاربة أطنابها فى هذه المدينة المزدحمة بالسكان ، خاصة أن البصرة كانت تزخر آنذاك بجموع العبيد الذين كانوا يستوطنون السباخ ويقومون باستصلاح الأرضى الزراعية (١٣٠) . هذا بالإضافة إلى أن هذه المدينة كانت وقتذاك مسرحًا لبعض الحروب العصبية حيث كان الصراع القبلى على أشده بين قبيلتى البلالية والسعدية(١٣١) . والواقع أن صاحب الزنج رجل مغامر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فقد رأى اضطراب أحوال الخلافة العباسية ، وأرد أن يكون له شأن وسط هذا الجو المضطرب . لقد كانت ثورة الزنج على جانب كبير من الأهمية من حيث طابعها ودوافعها وآثارها على الدولة العباسية ابتداء من عهد المهتدى با لله ، فقد كانت حلقة فى سلسة متصلة من الأحداث الاجتماعية والسياسية والفكرية الهائلة التى عبرت إبان هذه المرحلة عن السخط العام من ناحية ، وعن تفكك الدولة العباسية من ناحية ثانية(١٣٢) .

وكان زعيم الزنج قد بدأ حركته فى خطبة ألقاها على أتباعه العبيد يوم عيد الفطر سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م حيث أخذ يَعِدُ أصحابه بالحرية ، ونقض الرق وتحقيق العدل الاجتماعى ، وغلظ لهم الإيمان بألا يغدر بهم ، ولا يخذلهم ولا يدع شيئًا من الإحسان إلا أتى به إليهم(١٣٣) .

أخذ زعيم الزنج فى بداية خلافة المهتدى يزحف على بلدان الخلافة العباسية الواقعة جنوب العراق ، حيث بدأ بالبصرة نفسها ، وجرت بينه وبين أهلها معركة البيداء التى انتصرت فيها . وسميت بهذا الاسم لكثرة ما سقط فيها من القتلى والجرحى غالبيتهم من العلويين وألقى صاحب الزنج برؤوسهم فى النهر رغم زعمه بأنه من سلالة الخليفة على بن أبى طالب رضى ا لله عنه(١٣٤) .

والواقع أن الخليفة المهتدى با لله لم يتحرك بشكل إيجابى لقمع حركة الزنج فى مهدها، فقد ترك أهل البصرة وحدهم يتحملون مواجهة تيار الزنج العنيف(١٣٥).

ولكننا لو أمعنا النظر فى ظروف الخلافة وقتذاك ، لوجدنا للمهتدى بعض العذر فى ذلك ، فقد تزامن قيام حركة الزنج مع نشوب فتنة العامة ثم فتنة الجند فى بغداد ، وهبوط الروح المعنوية لأفراد الجيش العباسى بسبب قيام والى بغداد باختلاس مرتباتهم(١٣٦) .

ولما استقرت الأمور فى بغداد ولى الخليفة المهتدى وجهه شطر البصرة فأرسل جيشًا محدود العدد والعدة لمساعدة أهلها ضد زعيم الزنج ، ولكنه انهزم أمام الزنج قرب نهر الريان(١٣٧) ولقى حوالى ألف وخمسمائة من أفراده مصرعهم(١٣٨) .

ولما انتصر صاحب الزنج على جيش الخلافة اشتد بأسه ، وخاف منه أهل البصرة ، وأمسكوا عن حربه ، وكتبوا إلى الخليفة يطلبون منه التدخل ، وعندئذ فقط وجه إليهم المهتدى مددًا بقيادة جُعْلان التركى ، وفى الوقت نفسه عين قائدًا آخر يدعى أبا الأحوص الباهلى (١٣٩) واليًا على مدينة الأبلة(١٤٠) .

ويأتى هذا الإجراء من جانب المهتدى للحيلولة دون وقوعها هى الأخرى تحت سيطرة الزنج ، إذ إن هذه المدينة تتمتع بموقع جغرافى على شاطئ نهر دجلة فى زاوية الخليج (العربى) بالقرب من البصرة(١٤١) .

وقد أثارت سيطرة الزنج على البصرة ، وما جاورها من المدن جوًا من الهلع والفزع بين سكانها ، وألحقت بها خرابًا كبيرًا .

ولما كانت البصرة تُعد باب بغداد الكبير ، ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع ، وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ...(١٤٢) ، حيث وصفها المقدسى بأنها : " فرضه البحر ومطرح البر "(١٤٣) . وتقع على مرمى حجر من حاضرة الدولة العباسية ، فمن الطبعى أن تتأثر بقية مدن العراق من جراء سقوطها بيد الزنج ، حيث أختلت طرق المواصلات بينها وبين هذه المدن ، وألحق الزنج بزراعتها وتجارتها أضرارًا بالغة(١٤٤) .

لقد كان لحركة الزنج آثار ونتائج سيئة تمثلت فـى الأضـرار الماديـة كـالقتل الجماعى والتخريب العشوائى ، وما أصاب الزراعة من شلل ترتب عليه عجـز فـى موارد بين المال وارتفاع الأسعار وقلة الأقوات(١٤٥) .

وتزامـن ظهـور حركـة الزنـج فـى البصـرة مـع إعـلان يعقـوب بـن الليـث الصفار(١٤٦) عن قيام الدولة الصفارية فى إقليم سجسـتان ، وذلـك سنة٢٥٣هـ/ ٨٦٧م (١٤٧) . ولم يتوقف طموح الصفار عنـد هـذا الحـد ، فقـد شـرع فـى مـد نفوذه غربًا ناحية مركز الخلافة فى العراق حيث خضعت لسيطرته سنة٢٥٥ هـ / ٨٦٨م ولايتا كرمان(١٤٨) وفارس(١٤٩) ، وأصبح على مقربة مـن البصـرة معقـل حركة الزنج . وعندئـذ صـارت الخلافـة تخشـى أن يواصـل الصفـار زحفـه نحـو ، العراق ويسعى إلى إحياء النفوذ الفارسـى هنـاك مـن ، جديـد أو تقـوم بينـه وبـين صاحب الزنج اتصالات خفية تلتقى خلالهـا أهدافهمـا السياسـية ، ومـن ثـم ينشـأ بينهما تحالف سياسى يكون موجهًا ضدها فيصعب عليها مواجهـة هـاتين القوتـين فى آن واحد . وهكذا فإنه لم تمض علـى تسـلم المهتـدى بـا لله زمـام الحكـم سـنة واحدة حتى وجد نفسه مضطرًا للمحاربة على جبهات ثلاث فـى وقـت واحـد . فبالإضافة إلى حركتى الزنج والصفـار فـى الجبهـة الجنوبيـة مـن العـراق ، ظهـرت حركـة الخـوارج(١٥٠) بقيـادة مُسـاور الشـارى(١٥١) فـى إقليـم الموصـل بشـمال العراق(١٥٢) .

وكان زعيم الخوارج فى بداية أمـره قـد أتخـذ مـن بلـدة الحديثـة(١٥٣) دارًا لهجرته ، فلما قوى شأنه ، وازداد أتباعه ، قصـد الموصـل سـنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م واسـتطاع أن يدخلهـا دون حـرب بعـد أن اقتحـم دار والى الخلافـة عبـد ا لله بـن سليمان(١٥٤) وأحرقها(١٥٥) .

وهكذا لم يجد مساور أدنى صعوبة فى السيطرة على الموصـل ، وذلـك لميـل أهلها إلى الخلاف ، ورغبتهم المستمرة فى الخروج عن طاعـة أمـير المؤمنـين(١٥٦).

وفى هذه الأثناء هاجم زعيم الخـوارج المسجد الجـامع فـى الموصـل وقـت صـلاة الجمعة ، وصعد المنبر ، وخطب فى الناس ، فوجه المهتدى با لله جيشًا إليه ، التقـى بالخوارج الذين ألحقوا بـالجيش العباسـى هزيمـة قاسـية(١٥٧) اشـتدت علـى أثرهـا شوكة الخوارج فى شمال العراق ، وبصفـة خاصـة بعـد أن تغلـب قـائدهم مسـاور على أشد خصومه هنـاك ويدعـى عبيـدة العمـرى(١٥٨) الـذى لقـى مصرعـه عنـد نواحى جهينة قرب الموصل فى مطلع سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م(١٥٩) .

وكـان مسـاور الخـارجى قـد رفـض أن يرسـل خـراج الموصـل إلى الخليفـة المهتدى با لله ، فضاقت الأرزاق على الجند العباسى . فجهز المهتـدى جيشًـا آخـر لقتال الخوارج . وقد جعل على مقدمته بعض قواد الأتراك . غـير أن خلافًـا حـادًا نشب بين الخليفة وقواد الجيش أدى إلى توقفه عن مواصلة سيره ، ولم يتمكـن مـن بلوغ هدفه فـى الموصـل(١٦٠) . ومـا مـن شـك أن انـدلاع حركـة الخـوارج فـى الموصل كان أحد العوامل المؤثرة التى أصابت محاولة المهتدى الإصلاحية بالشـلل . فالموصل معقل هذه الحركة ذات موقع استرتيجى مهم بالنسبة للخلافة العباسية من النـاحيتين السياسـية والاقتصاديـة فقـد كـانت آنـذاك بـاب العـراق ، ومفتـاح خراسان(١٦١) ، ومنها يُقصد إلى ولاية أذربيجان(١٦٢) .

ويقول ياقوت الحموى : " كثيرًا ما سمعت أن بـلاد الدنيـا العظـام ثـلاث ، نيسابور(١٦٣) ؛ لأنها باب الشرق ، ودمشـق ؛ لأنهـا بـاب الغـرب ، والموصـل ؛ لأنه القاصد إلى هاتين الجهتين لابد أن يمر بها(١٦٤) .

ولم تكـن الأحـوال الداخليـة فـى بقيـة منـاطق الخلافـة العباسـية أكـثر أمنًـا واستقرارًا مما كانت عليه داخـل العـراق ، فقـد كـانت الأوضـاع هنـاك مضطربـة خصوصًا فى مصر حيث ظهرت فى مطلع خلافة المهتـدى بـا لله بعـض الحركـات العلويـة ، كـانت الأولى بقيـادة أحمـد بـن طباطبـا(١٦٥) ، وكـان ميدانهـا بـين بَرْقَة(١٦٦) والإسكندرية . ثم نقل ابن طباطبـا حركتـه إلى الصعيـد (١٦٧) جنـوب

مصر ، وهناك ازداد نصاره وادعى الخلافة ، فأوعز المهتدى إلى واليه على مصر أحمد بن طولون(١٦٨) بأن يقتفى أثر هذا العلوى . وقد تمكن ابن طولون من سحق هذه الحركة بعد أن قتل قائدها وحُملت رأسه إلى مصر(١٦٩) .

أما الحركة الأخرى فقد تولى كبرها ابن الصوفى العلوى (١٧٠) الذى ظهر فى صعيد مصر ، وملك مدينة إسنا(١٧١) فى ذى القعدة سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م ، ثم نهب هذه البلاد وقتل أهلها(١٧٢) . ولقد سير إليه أحمد بن طولون جيشًا ، هزمه ابن الصوفى ، وأسر قائده ، وقطع يديه ورجليه ، ثم صلبه ، وذلك فى ربيع الأول سنة٢٥٦هـ / ٨٦٩م(١٧٣) . ثم سير إليه ابن طولون جيشًا آخر تمكن من هزيمته ، وقتل كثيرًا من رجاله ، ولاذ ابن الصوفى نفسه بالفرار إلى إحدى الواحات القريبة فى الصعيد(١٧٤).

كذلك كانت الحالة الأمنية فى الشام سيئة ومضطربة إلى حد كبير ، فقد ثار فيها عيسى بن الشيخ (١٧٥) ، واستولى على دمشق ، وقطع الخراج عن بغداد(١٧٦) .

ونلحظ مما سبق أن أقاليم العراق ومصر والشام والموصل التى تعد أهم بلدان الخلافة العباسية من الناحيتين السياسية والاقتصادية كانت فى عهد المهتدى با لله مسرحًا لعدد من الحركات والثورات المختلفة فى دوافعها وأهدافها ، مما أدى إلى تعطيل المرافق العامة فى هذه النواحى ، التى أصبحت عرضة للسلب والنهب من جانب الخارجين عن طاعة الخليفة . وقد أثر ذلك بشكل كبير عل خراج تلك البلدان الذى كان يعد أحد الموارد الأساسية لبيت المال فى العصر العباسى . لقد كان لتدهور الحالة الاقتصادية فى عصر المهتدى نتائج سلبية للغاية فقد وقفت الخلافة عاجزة عن صرف مرتبات الجند فتأخرت أرزقهم لعدة أشهر ، واضطرت إلى استمالة قواد الجيش بكل الوسائل المتاحة ، حيث قامت بمنحهم الإقطاعات ، وإعفائهم من الزيادات والرسوم(١٧٧) . وانعكس ذلك بشكل تلقائى على

نفسيات الجند ، فبدأت تظهر بينهم حالة من الاستياء والسخط . وكانت أولى ردود الفعل تجاه ذلك قد ظهرت فى أوساط الجند المرابطين فى ولاية الرى(١٧٨) إذ ترك هؤلاء مواقعهم ، وعادوا إلى العراق خصوصًا حينما أشيع بينهم أن أمراء الأتراك فى سامراء قد نهبوا أموال الدولة بعد مقتل الخليفة المعتز(١٧٩) .

وقد بذل الخليفة المهتدى محاولات شتى لإقناع العسكر بالبقاء فى الرى ولزوم ذلك الثغر ، وأخذ يحذرهم من أن انسحابهم سيؤدى إلى تغلب العلويين بقيادة الحسن بن زيد(١٨٠) على البلاد التى سوف يتركونها خلفهم . ولكن لما تبين للمهتدى عزم الجند على ترك مواقعهم ، أفضى لقوادهم بأنه يعانى من ضائقة مالية لا يستطيع معها صرف مرتبات الجند العائدين إلى سامراء(١٨١) لكن محاولاته باءت بالفشل ، وعاد الجند إلى العراق ، وأقاموا بالقرب من سامراء ، وطلبوا من الخليفة أن يرسل إليهم أحد أخواته ليحملوه رسالة إليه ، فندب لهذه المهمة أخاه عبد الله بن الواثق(١٨٢) . وفى أثناء المفاوضات بين الطرفين اعترف الجند بأن بعض قوادهم يدبرون مؤامرة لعزل المهتدى بالله عن الخلافة ، وكتبوا بعض المطالب التى نقلها ابن الواثق إلى أخيه ، وتعهدوا للمهتدى فى حال تنفيذه لها بأن يقفوا إلى جانبه ، ويقتلوا كل من يريد أن يمسه بسوء(١٨٣) . ورغم أن المهتدى وعدهم بتحقيق ما طلبوا ، إلا أن الظروف السياسية والاقتصادية من حوله لم تمكنه من الوفاء بوعده ، فقد كان الخليفة طيلة مدة حكمه محاطًا بطغمة من أمراء الأتراك الذين لم يتركوا له سبيلاً إلى الإصلاح . وكان على رأس هؤلاء كبير حجابه صالح بن وصيف الذى ازداد ظلمه ، واشتد جبروته بعد مقتل المعتز وجلوس المهتدى مكانه ، فقد قام بتصفية كبار رجال الدولة والقواد الذين يخشى منهم أن ينافسوه على السلطة فى البلاط العباسى .

ولما رأى بعض القواد الأتراك أن صالح بن وصيف تخلص من كبار منافسيه، ولم يقف فى طريقه أحد خافوا على أنفسهم ، فثاروا عليه يتقدمهم موسى بن

بُغا(١٨٤) . ولكنه اختفى عنهم . ثم اتهموا الخليفة المهتدى بالتواطؤ معه ، وطلب موسى من المهتدى مناظرته ، فرفض الخليفة طلبه فى بادئ الأمر ، ولكنه ما لبث أن عاد ، ووافق على ذلك ، ثم تناظرًا . وفى أثناء ذلك قام رجال موسى وحملوا المهتدى على دابة ، ونهبوا ما كان فى مجلسه ، وأدخلوه إلى دار أحدهم(١٨٥) ثم أخذوا عليه عهدًا بألا يمايل صالحًا عليهم ، وأصروا على أن يقوم المهتدى بتسليمهم ابن وصيف لكى يحاسبونه على أفعاله(١٨٦) .

ولما احتدم النزاع بين الثوار والخليفة فكروا فى خلعه ، وشاع هذا الخبر فى أوساط الناس ، فقام هؤلاء وكتبوا رقاعًا ألقوها فى المساجد " معاشر المسلمين ادعوا لخليفتكم العدل الرضا المضاهى عمر بن عبد العزيز أن ينصره الله على عدوه ويكفيه مؤنه ظالمه ، ويتم النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه"(١٨٧)، وعندما بلغ الأمر المهتدى خرج إلى الثوار متقلدًا سيفه ، وخطب فيهم بعد أن نفى علمه بالمكان الذى يختفى فيه صالح بن وصيف قائلاً : " بلغنى ما أنتم عليه ، ولست كمن تقدمنى ، مثل المستعين والمعتز ، والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط ، وقد أوصيت إلى أخى بولدى ، وهذا سيفى ، والله لأضربن به ما استمسك بيدى ، والله لئن سقط منى شعرة ليهلكن أكثركم ، أما دين ، أما حياء ؟ كم هذا الخلاف على الخلفاء ، والإقدام والجرأة على الله ؟ "(١٨٨) .

وعلى الرغم من قوة الخطاب الذى وجهه المهتدى إلى الثوار فإنه لم يترك أثرًا كبيرًا فى نفوسهم ، فما أن فرغ منه حتى نادى قائدهم أنه من جاء بصالح بن وصيف فله عشرة آلاف دينار ، فاشتد عليه الطلب ، فلما عثروا عليه قتلوه ، وذلك فى شهر صفر سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م(١٨٩) .

وهكذا نلحظ مما سبق أن الأتراك سلبوا الخليفة المهتدى سلطته ، وأساءوا التصرف فى شؤون دولته حتى إنه صار يرجو الخلاص منهم . وليس أدل على ذلك مما رواه الطبرى من أن المهتدى عندما أشغل باله موسى بن بُغا رفع يديه

إلى السماء قائلاً : " اللهم إنى أبرأ إليك من فعل هذا القائد ، فقد أخل بالثغر، وأباح العدو ، اللهم تول كيد من كايد المسلمين ، اللهم إنى شاخص بنيتى واختيارى إلى حيث نكب المسلمون فيه ، ناصرًا لهم ودافعًا عنهم ، اللهم فآجرنى بنتيى إذا عدمت صالح الأعوان " ! ثم انحدرت دموعه ، وبكى(١٩٠) .

ولقد تفاقم الخلاف بين المهتدى وبعض قواد الأتراك عندما اتهم اثنين منهم – هما موسى بن بُغا وأخوه محمد – بنهب أموال الجند واختلاسها(١٩١) . ووقع ذلك فى وقت كان فيه صبر المهتدى على تصرفات الأتراك قد نفد . وفوق ذلك فإنه لم يعد يتحمل رؤية ما يدور بينهم من صراعات. ويبدو أنه أدرك أن الوقت قد حان للتخلص منهم ورأى أن أنجع وسيلة لذلك هى ضرب بعضهم ببعض .

وكانت أولى الخطوات التى أقدم عليها الخليفة فى هذا الاتجاه قيامه باستدراج محمد بن بُغا ، ومصادرة أمواله ، وقتله فى سامراء . وقام على إثر ذلك بتنحية أخيه موسى عن قيادة الجيش العباسى (١٩٢) .

ولما تخلص المهتدى من هذين القائدين رنا ببصره إلى قائد تركى آخر يدعى بايكباك عُرف بميله إلى العبث والفساد ونهب الأموال ، وقتل الناس ظلمًا . وأمره الخليفة بالكف عن ذلك مرات كثيرة ، ولكنه لم ينته(١٩٣) ، وأسند إليه قيادة الجيش مكان موسى بن بُغا ، وطلب منه أن يواصل زحفه إلى الموصل لحرب زعيم الخوارج مساور الشارى ، وأوعز إليه كذلك بأن يقبض على موسى ، ويقتله(١٩٤) .

ويبدو واضحًا أن المهتدى عندما زج بهذا القائد فى الحرب ضد الخوارج لم يكن مقتنعًا بكفاءته وإخلاصه بقدر ما كان يرغب فى التخلص منه ، أو على الأقل إبعاده عن العاصمة العباسية سامراء ، وضرب قواد الأتراك بعضهم ببعض . ولكن

بايكباك كان يقظًا لما يدبره الخليفة ضده ، فاتصل بالقائد موسى بن بُغـا ، وأخـبره بتدبير المهتدى ضده ، فاتفقا على وضع خطة للإطاحة بـه ، ومـن أجـل هـذا عـاد بايكبـاك فجـأة إلى سـامراء ، وبصحبتـه نفـر مـن قـواد الأتـراك ، ودخلـوا إلى دار الخلافة في شهر رجـب سنة٢٥٦هـ / ٨٦٩م ، فـأخذت تسـاور المهتـدى بعـض الشكوك من عودة بايكباك ، فأصدر أمرًا بالقبض عليه، وإلقائه فى السجن(١٩٥).

ولما بلغ أصحاب بايكباك ما جرى لقـائدهم ، اجتمعـوا ، وطـالبوا المهتـدى بالإفراج عنه ، ولكنه قبل أن يُبت فى ذلـك استمع إلى مشـورة مـن أحـد الأفـراد الأسرة العباسية ؛ إذ قال له : " لقد كان أبو مسـلم الخراسـانى(١٩٦) أعظـم شـأنًا عند أهل خراسان من بايكباك عند أصحابه ، فلما طرح رأس أبى مسلم سـكتوا ، ولو فعلت بهذا مثلـه لسـكتوا . وعندئـذٍ أمـر المهتـدى بقتـل بايكبـاك ، فاسـتراح منه(١٩٧) .

وبعد مصرع بايكباك دق ناقوس الخطر فى دار الخلافة ، فقد تجمهر حـوالى سبعين ألف تركى مـن أعـوان هـذا القـائد وطـالبوا بدمـه ، فـالتقى بهـم المهتـدى وأنصاره فى ميدان العاصمة سامراء فى نحو عشرة آلاف فارس من الـترك والعـرب والفـرس وغـيرهـم ، فحـاربهم . ولكنهـم كسـروه لأن الأتـراك الذيـن كـانوا فـى عسكره غدروا به أثناء القتال وانضموا إلى إخوانهم أتباع بايكباك . وولى المهتـدى منهزمًا ، وفى حلقه مصحف معلـق ، والـبردة فـى كتفيـه ، والسـيف بيـده(١٩٨) وأخذ ينادى : يا معشر المسلمين ! أنا أمير المؤمنـين ، قـاتلوا عـن خليفتكـم ! فلـم يجبه أحد من العامة إلى ذلك ، فسار إلى باب السجن ، فأطلق من فيـه وهـو يظـن أنهم يعينونه، فهربوا ، ولم يعنه أحد ، فاتجه إلى دار صاحب الشرطة ودخلها وهـم فى أثره ، فدخلوا عليه وأخرجوه ، وحملوه على بغل ، وحبسوه فى أحـد الـدور . ثم عرضوا عليه أن يعزل نفسه عن الخلافة مقابل الإفراج عنه ، ولكنه أبى ، ووافق على أن يكتب لهم بخطه كتابًا يتعهد فيه بألا يغدر بهـم ، ولا يغتـالهم ، ولا يفتـك

بهم ، وأنه متى فعل ذلك فُهم فى حل من بيعته ، ويصبح الأمر إليهم يستخلفون شخصًا غيره . ولكنهم لم يصغوا لطلبه ، وقاموا بتعذيبه حتى مات فى الثامن عشر من شهر رجب سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م ، ودُفن بمقبرة المنتصر فى سامراء(١٩٩) ، بعد أن استمرت خلافته كلها أحد عشر شهرًا وخمسة وعشرين يومًا فقط ، وكان عمره حين أدركه الأجل ثمانيًا وثلاثين سنة(٢٠٠) .

* * *

وخلاصة القول: إن محاولة المهتدى لم تنجح أولاً لأنه مكث سنة واحدة فى الخلافة ، وأن صفاته الشخصية الإيجابية لم تكن لتكفى فى هذا العصر الملئ بالمؤامرات والفتن .

وثانيًا : أن من يريد تبنى سياسة مضادة لما هو سائد ، لا يكفيه قوة منطقه ووضوح الحق فى جانبه، بل يحتاج إلى القوة، فالحق بلا قوة يضيع، والسياسة تحتاج إلى قوة. والمهتدى لم يكن يملك القوة فى الجيش أو فى الوجهاء من القوم .

وثالثًا : أن الرجل كان يشعر بضعفه وسط أعاصير عصره ، فمال إلى الانعزال وابتغاء آجل الآخرة بدلا من عاجل الدنيا .

ورابعًا : أن المهتدى لم يمتلك خطوط منهج إصلاحى واضح متكامل سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وعسكريًا ، وإنما كان يمتلك مبادئ تمثلها واقتبسها من سير الصالحين الأوائل ، فعرف بها ونقلت عنه .

وخامسًا : أن المهتدى لم يبادر إلى إصلاح الخلل الأكبر فى جسد الدولة المتمثل فى الاعتماد الكبير على الجند والقادة الأتراك . فقد ركن هذا الخليفة إليهم وهادنهم ولم يواجههم ، وبذلك أصبح مثل سابقيه فاقدًا لقوة الجموع الأخرى من الأمة ، وخاصة العرب الذين أسقطهم العباسيون من حسابهم منذ قيام دولتهم .

ثم إن المهتدى كان فى حاجة إلى كل نصير خصوصًا من أفراد أسرته ، ولذلك فإنه أخطأ حينما قام بنفى الموفق إلى مكة بدلاً من احتوائه وضمه إلى جانبه فى مواجهة التيار العنيف الذى ثار ضد محاولته الإصلاحية .

أثر هذه المحاولة على الخلافة العباسية :

لم تذهب محاولة المهتدى با لله عبثًا ، فقد كشفت قواد الأتراك أمام جنودهم حتى أن هؤلاء طالبوا الخليفة المهتدى فى أواخر أيام خلافته بأن يوكل قيادة الجيش إلى أحد أفراد الأسرة العباسية(٢٠١) ، وقد تنبه المعتمد إلى ذلك حينما تولى الخلافة، فأدار ظهره للأتراك ، وجعل قيادة الجيش لأخيه الموفق(٢٠٢) .

وكان لمحاولة المهتدى أثر فى استرداد البيت العباسى بعض سلطانه ، بعد أن استطاع هذا الخليفة الحد من نفوذ الأتراك بضرب بعض قادتهم أمثال محمد بن بُغا وصالح بن وصيف وبايكباك ، ولذا لم يجد الخليفة المعتمد صعوبة عند اختيار ابنه جعفر وليًا للعهد(٢٠٣) ، ثم إنه لما مات الموفق سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م جرت مبايعة ابنه أحمد بولاية العهد بعد جعفر المفوض ، ولُقب بالمعتضد با لله(٢٠٤) .

ولما خلع المعتمد با لله جعفرًا من ولاية العهد فى محرم سنة٢٧٩هـ / ٨٩٢م أسند ولاية العهد للمعتضد(٢٠٥) ، ولم يواجه خلال ذلك مضايقة من الأتراك كما كانوا يفعلون من قبل فى مثل هذه الظروف ، وبذلك حرم البيت العباسى الأتراك من فرصة اختيار من يرون مصلحتهم فى استخلافه .

حقيقة أن هذه المحاولة الإصلاحية كانت بمنزلة حجر الأساسي الذى قامت عليه مرحلة الانتعاش التى مرت بها الخلافة ، وشملت كثيرًا من جوانب الحياة ، ودامت حوالى أربعين سنة ، حكم فيها ثلاثة خلفاء هم : المعتمد على ا لله ، ثم المعتضد ، ثم ابنه الكتفى . وعاش هؤلاء الخلفاء فى دست الخلافة آمنين من عدوان الأتراك عليهم ، بل إن الأتراك فى أيامهم عادوا خدامًا للدولة ، كما كان

شأنهم عند بدء ظهورهم فى بغداد وبذلك سكنت الفتن التى كانوا يثيرونها ، ولم يجرؤ واحد منهم على إسخاط خلفاء هذه الفترة أو معارضتهم .

ومهما يكن من أمر فقد ترتب على عزل المهتدى بالله ووأد محاولته الإصلاحية فى مهدها آثار سلبية عديدة على الخلافة ، فقد نشطت إثر ذلك مباشرة الحركات المناوئة للخلافة منتهزة فرصة الفراغ السياسى ومرحلة الانتقال التى مرت بها الخلافة العباسية ما بين وفاة المهتدى ووصول القائد المحنك أبى أحمد الموفق إلى قيادة الجيش ، وضبطه لشؤون الدولة فى ظل خلافة أخيه المعتمد . ففى البصرة اشتدت شوكة صاحب الزنج ، وصار يتطلع إلى توسيع دائرة نفوذه بهدف بسط كامل سيطرته على جنوب العراق . والواقع أن قائد الزنج حقق لنفسه ما يريد فقد استغل ظروف الخلافة ، واستولى إبان هذه الفترة على بعض المدن الهامة فى المنطقة الواقعة جنوب شرقى إقليم العراق وضمها إلى مركز حركته فى البصرة . ولم يواجه زعيم الزنج فى هذه الأثناء أدنى مقاومة من الخلافة العباسية(٢٠٦) .

وفى الموصل انتهز الخوارج كذلك فرصة الاضطراب التى وقعت داخل الدولة العباسية فسعى قائدهم مساور الشارى إلى إحياء حركته الانفصالية من جديد ، والتقى بجيش الخلافة قرب بلدة خانقين(٢٠٧) . وقُتل من أصحاب مساور جمع كثير ، وكان ذلك فى سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م(٢٠٨) . وفى خضم هذه الأحداث التى شهدتها الخلافة نتيجة لعزل المهتدى عن الخلافة وفشل مشروعه الإصلاحى ، انتعشت بعض الحركات العلوية المعارضة للحكم العباسى ، فقد ظهر أحد العلويين فى الكوفة ويدعى على بن زيد(٢٠٩) وتمكن من الاستيلاء عليهما بعد أن أزاح الوالى العباسى عنها(٢١٠) .

وفى المشرق الإسلامى استطاع الحسن بن زيد العلوى مؤسس الدولة الزيدية فى طبرستان بسط سيطرته على ولايتى الرى وجرجان(٢١١) .

ومما ساعد على ظهور هاتين الحركتين سوء أحوال عمال الخلافة فى بعض الولايات الإسلامية ، فقد استهان أكثرهم بأمر الخلفاء بسبب الضعف السياسى والاقتصادى الذى انتاب الخلافة وقتذاك . ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال الوالى العربى عبد العزيز بن أبى دلف(٢١٢) نائب الخلافة فى الرى الذى فارق ولايته دون سبب ، الأمر الذى مكن الحسن بن زيد من السيطرة عليها والإساءة إلى أهلها . وكذلك نائب الخلافة فى الكوفة الذى أهمل شأن ولايته مما جعل على بن زيد يستولى عليها دون مقاوم(٢١٣) .

وفى الشام حاولت العناصر العربية التى كانت تشكل غالبية السكان هناك الإفادة من الأحداث السياسية التى جرت فى العراق من أجل استعادة ما كان العرب يتمتعون به من هيبة ونفوذ فى الدولة الإسلامية . وكان أن جاهر الأمير العربى عيسى بن الشيخ فى عدائه للخلافة العباسية ، ولم تتوقف أطماعه السياسية عند حدود السيطرة على دمشق ، وقطع الخراج عن بغداد ، بل إنه تمادى إلى ما هو أبعد من ذلك فقد نهب خراج مصر الذى حمله والى الخراج هناك أحمد بن المدبر(٢١٤) عن طريق الشام إلى بغداد ، وكان يُقدر بسبعمائة ألف دينار . وفى الوقت نفسه رفض ابن الشيخ إقامة الدعوة للخليفة المعتمد على الله بعد توليه الخلافة مباشرة . وبدلاً من أن يقوم هذا الخليفة بتأديبه على تصرفه فقد كافأه بولاية أرمينية(٢١٥) . وقد قبل ابن الشيخ ذلك ظنًا منه أن الشام تكون بيده إضافة إلى أرمينية ، ولكن المعتمد أنفذ جيشًا لطرد ابن الشيخ من الشام ، فالتقى الجيشان قرب دمشق وانهزم عسكر ابن الشيخ ، فلاذ بالفرار إلى أرمينية(٢١٦) .

وفى العراق حاول كذلك مغامر عربى يدعى سعد الباهلى(٢١٧) أن يتغلب على البطائح(٢١٨) ، ولكن أحد قواد الخلافة قبض عليه ، وساقه أسيرًا إلى سامراء، فضُرب سبعمائة سوط حتى مات(٢١٩) .

وفى إقليم فارس سعت العناصر الفارسية بدورها علـى الظهـور مـن جديـد لإنعاش ما كان لها من نفوذ فى العصر العباسى الأول ، وهو النفـوذ الـذى انـزوى بعد تقدم العناصر التركية فى العراق ، فقد ازدادت أطماع يعقوب الصفار مؤسس الدولة الصفارية وتحرك لضم أجزاء من بلدان الخلافة إلى دولته التى كـان مركزهـا فى سجستان ، حيث زحف الصفار فور علمه بتبأ خلع الخليفة المهتدى غربًـا نحـو إقليم العراق ، واضطرت الخلافة إلى صرفه عن هـذه الناحيـة فعهـدت إليـه ببعـض ولايات المشرق الإسلامى ، فقبل فى بادئ الأمر ذلك ، ولكنه ما لبـث أن تراجـع وعاد إلى العراق ، وحارب جيش الخلافة(٢٢٠) .

ومـا سـبق نسـتطيع القـول : إنـه علـى الرغـم مـن انهيـار محاولـة المهتـدى الإصلاحية فى مهدها نتيجة لعزل هذا الخليفة فإنها فى واقع الأمر تركـت وراءهـا آثار إيجابية وسلبية عديدة على الخلافـة العباسـية . وقـد اسـتفاد الخلفـاء خصوصًـا الثلاثة الأوائل الذين حكموا بعد المهتـدى مـن الآثـار الإيجابيـة ، وقـاموا بتوظيفهـا لصالحهم . وفى الوقت ذاته حرصوا على تجنب ما نتج عنها من آثار سلبية حتى لا تتكرر الأحداث السياسية والاقتصادية نفسها التى وقعت فى خلافة المهتدى با لله.

الخاتمـــــة :

عندما تولى المهتدى با لله الخلافة كان غالبُ الناس قد فقدوا الثقة بخلفاء بنى العباس نتيجة ضعفهم ، وعدم مبالاتهم بشؤون الرعيـة ، وسيطرة المـوالى الأتـراك على مقاليد الخلافة، حيث بلغ سلطانهم آنذاك ذروته لدرجة ، أنهم أصبحوا بمنزلة حلقة اتصال بين الخليفة والرعية ، ولم يكن أحد يستطيع أن يجرؤ على معارضتهم.

لقد كان المهتدى با لله حقيقة من أفضل خلفاء البيت العباسى زهـدًا وعـدلاً وتواضعًا ، ومن هذا المنطلق حاول إصلاح ما فسد من أحـوال دولتـه مقتديًـا فـى ذلك بسيرة الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ، فشـرع فـى إحيـاء بعـض السـنن

والعادات الحميدة التى كان يقوم بها خلفاء الدولة الإسلامية ، والتى كادت قبل توليه أن تندثر بسبب إهمال الخلفاء الذين سبقوه لها . ونذكر من ذلك على سبيل المثال : حضوره إلى المسجد الجامع ، ومصلى العيد فى أيام الجمع والأعياد لإلقاء الخطبة وإمامة الناس فى الصلاة ، وكذلك جلوسه للمظالم ، والإشراف بنفسه على الدواوين .

لقد شملت محاولة المهتدى الإصلاحية كثيرًا من جوانب الحياة فقد أهتم هذا الخليفة بالنواحى المالية ، وأولى القضاء اهتمامًا خاصًا حيث شهدت خلافته انتعاشًا مكانة القضاء ، ومن مآثره قبة المظالم التى شيدها فى العاصمة سامراء . وكان المهتدى حازمًا مع المخالفين حتى ولو كانوا من أقربائه ، أو من كبار رجال الدولة فقد طال عقابه ثلة من هؤلاء ، ولم يفرق بين قريب وبعيد .

لقد تأججت نيران الفتن والاضطرابات فى عهد المهتدى بشكل لم يسبق له مثيل . وكان أول الوهن الذى أصاب جسد الخلافة فى مستهل حكمه رفض أهل بغداد مبايعته فى بادئ الأمر . ثم ازداد الوضع سواءًا عندما اندلعت ثورة الجند فى بغداد ، وعاد الجند ، المرابطون فى الثغور الشرقية من أرض الخلافة إلى ثكناتهم قرب العاصمة سامراء مطالبين بأرزاقهم المتأخرة لعدة أشهر . وفى هذا الوقت خرج صاحب الزنج فى جنوب العراق ، وشق الخوارج عصا الطاعة على الخلافة فى شمال العراق . وعندئذٍ أسقط بيد المهتدى ، وأصبح فى حيرة من أمره، فهل يمضى بحركته قُدمًا إلى الإمام أم يتوقف عن ذلك ويتفرغ للقضاء على هذه الحركات المناوئة للخلافة ؟

وكان لقيام هذه الحركات انعكاسات اقتصادية خطيرة على الخلافة فقد عجزت موارد الدولة من الأقاليم المتمثلة وقتذاك فى رسوم الضرائب والخراج وغيرهما عن الوفاء باحتياجات بيت المال ، لدرجة أن المهتدى أصبح غير قادر حتى على دفع مرتبات الجند ، مما أدى إلى تسلل الإحباط والملل إلى نفوسهم .

وعندئذٍ فقد الخليفة السيطرة عليهم ، ولم يُعد بإمكانه أن يركن إليهم لقمع أولئك الخارجين عن طاعته ، وتأديبهم وإعادتهم إلى جادة الصواب .

والواقع أن المهتدى بالله لما شرع فى محاولته الإصلاحية لم يجد من يناصره، أو يشد من أزره، بل كان محاطًا بطغمة من الأتراك لم تترك له سبيلاً إلى الإصلاح. ومن سوء حظه أنه لم يلبث فى الحكم طويلاً ، وبالتالى فإن محاولته هذه لم تأخذ وقتًا كافيًا لكى تقف على قدميها لترى النور ، وتؤتى ثمارها.

الهوامش

(١) ورد هذا الحديث بعدةِ ألفاظ وطرق منها : " لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثنى عشر خليفة " ، و " لا يزال أمر الناس ماضيًا " ، و " لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش " .

انظر : صحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (٣/١٤٥٢ - ١٤٥٣) . ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت ، ص١١ .

(٢) البداية والنهاية ، ط٦ ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م (١١/١٨) .

(٣) العبر فى خبر من غبر ، بيروت (١/٣٦٦) .

(٤) الأزدى : أخبار الدول المنقطعة (تاريخ الدولة العباسية) تحقيق ودراسة د. محمد الزهرانى ، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص١٨١ . ؛ السيوطى : نفسه ، ص٣١٠ .

(٥) المعتصم : (أبو إسحاق بن هارون الرشيد) ، ولد سنة ش١٧٨هـ ، بويع بالخلافة فى رجب سنة ٢١٨هـ ، وكانت وفاته فى ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ. (ابن العمرانى : الإنباء فى تاريخ الخلفاء تحقيق د. قاسم السامرائى، ط٢ ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص١٠٤).

(٦) المتوكل : (أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى ، بويع فى ذى الحجة سنة ٢٣٢هـ ، وقُتل فى شوال سنة ٢٤٧هـ . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، (١/٣٥٠) .

(٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ط٢ ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، (٥/٣٠٢).

(٨) المنتصر بالله : (أبو جعفر محمد بن المتوكل ، بويع له بعد مقتل أبيه مباشرة سنة ٣٤٧هـ ، ومات مسمومًا على يد طبيبه سنة ٢٤٨ . (ابن العمرانى : الإناء ١٢١ - ١٢٣).

(٩) المعتز بالله : (محمد وقيل الزبير بن جعفر المتوكل) ، بويع له عند خلع المستعين سنة ٢٥٢هـ ، ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه ، توفى سنة ٢٥٥هـ . (ابن قتيبة : المعارف، ط٢ ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، دار المعارف، مصر ، ص٣٩٤ . ؛ الأزدى : أخبار الدول المنقطعة / ص١٩٣ - ١٩٤) .

(١٠) المؤيد : (إبراهيم بن جعفر المتوكل) كان وليًا للعهد فى أثناء خلافة أخيه المعتز، ولكنه عزله فى رجب سنة ٢٥٢هـ ، وضربه وقيده فمات متأثرًا بذلك بعد أيام . (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٣) .

(١١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (٣٠٦/٥) .

(١٢) السيوطى ، نفسه ، ص٣٢٤ .

(١٣) سامراء : مدينة تقع بين بغداد وتكريت وقامت على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، بناها الخليفة المعتصم ، ونقل إليها دار الخلافة سنة ٢٢١هـ. (ياقوت الحموى : معجم البلدان، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، (١٧٣/٣ - ١٧٤) .

(١٤) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مصر ١٣٤٦هـ (٣٨٩/٢) .

(١٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (٣٢٧/٥)

(١٦) نفسه ، (٣٣٥/٥) .

(١٧) ابن العمرانى : الإنباء ص١٢٠ . ؛ ابن الأثير : الكامل فى تاريخ ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . (٩٧/٧ - ٩٩) .

(١٩) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٠ .

(٢٠) ابن الأثير : الكامل ، (١١٤/٧ - ١١٥) .

(٢١) أبو العباس أحمد بن المعتصم بن الرشيد ، أخو الخليفة المتوكل ، ولد سنة ٢٢١هـ، تولى الخلافة عقب وفاة المنتصرة سنة ٢٤٨هـ ، ثم خلع نفسه سنة ٢٥٢هـ . وفى هذا العام لقى مصرعه على يد أحد حجابه الأتراك . (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٢).

(٢٢) ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٢٣ .

(٢٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٣٥٤/٥) ؛ ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٢٤؛ ابن الأثير : الكامل ، (١١٩/٧ - ١٢٠) .

(٢٤) المسعودى : مروج الذهب ، (٤٠٧/٢ - ٤٠٨) .

(٢٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٢ .

(٢٦) الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ، ص١٩٣ . ؛ ابن الأثير : الكامل ، (١٧١/٧).

(٢٧) الموفق : هو الأمير أبو أحمد طلحة بن المتوكل بن المعتصم ، كان بيده الحل والعقد فى خلافة أخيه المعتمد ، ومات قبل أن يتولى الخلافة فى صفر سنة ٢٧٨هـ . (الذهبى: سير أعلام النبلاء ، ط١٠ ، بيروت ١٤١٤هـ ، ١٦٩/١٣) .

(٢٨) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤١٤/٥ ، ٤٣٢) .

(٢٩) قبيحة أم المعتز سماها زوجها المتوكل بهذا الاسم لحسنها وجمالها ، كانت من ربات السياسة والدهاء والنفوذ والسلطان . ولما قُتل ابنها المعتز ظفروا لها بخزائن تحت الأرض فيها أموال طائلة وكنوز وجواهر ثمينة ، توفيت فى ربيع الأول سنة ٢٦٤هـ بعد أن أعيدت من مكة إلى سامراء مكرمة معززة : انظر : (ابن الأثير : الكامل ، ٢٠٠/٧ . ، عمر كحالة : أعلام النساء ، ط٣ ، بيروت ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م ، (١٨٤/٤ - ١٨٧) .

(٣٠) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣١/٥) .

(٣١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٣ .

(٣٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣١/٥) . ؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ، (٥٣٥/١٢) .

(٣٣) القاطول : أحد رواقد نهر دجلة ، حفره هارون الرشيد فى موضع سامراء قبل بنائها . (الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، بيروت (٣/ ٣٤٧). ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، (٢٩٧/٤) . ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط٢ ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٨٢) .

(٣٤) البغدادى : تاريخ بغداد ، (٣/ ٢٤٨) .

(٣٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣١/٥) .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل ، (٣٣/٧) .

(٣٧) نفسه ، (٣٣/٧) .

(٣٨) المسعودى : مروج الذهب ، (٤٣١/٢) .

(٣٩) أبو الفضل جعفر بن محمود الإسكافى . تولى الوزارة فى عهد المعتز ، كان قليل الحظ من العلم والأدب ، ولكنه سعى إلى استمالة الناس بالمنح والعطايا ، وكان متهما بالتشيع، وثارت بسببه فتنة ، فعزله المعتز . (ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ص٢٤٤) .

(٤٠) ابن طباطبا : نفس المصدر والصفحة .

(٤١) سليمان بن وهب بن سعيد بن حُصين الحارثى ، أصبح كاتبا للخليفة المأمون، ولما تولى المهتدى جعله وزيرًا له ، وشغل أيضًا منصب الوزارة فى خلافة المعتمد على الله .

انظر : (ابن طباطبا : نفسه ، ص٢٤٧ - ٢٤٩ . ؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ، (١٣/ ١٢٧) .

(٤٢) هو صالح بن وصيف الكبير " شيخ الموالى " كان والده من أمراء الأتـراك مـماليك المعتصم ، وكان ابنه صالح أحد مقدمى الأتراك فى بلاط المعتز ، ثم جعله المهتدى حاجبًـا لـه ، وقد قتل صالح بسامراء فى صفر سنة ٢٥٦هـ على يد نفر من الموالى الأتراك . (ابن العمرانى : الإنباء ، ص٢٨٦ ، هامش (٣٣٧).؛ ابن الأثير : الكامل ، (٢٢٥/٧) .

(٤٣) الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الأموى تـولى القضـاء فـى عهـد المتوكل ثم عزل ، وأسند إليه مرة أخرى فى عهد المهتـدى ، توفـى سـنة ٢٦١هـ . (وكيـع : أخبار القضاة ، بيروت ، (٣٠٣/٣) . ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهـرة فـى ملـوك مصـر والقاهرة ، مصر (٣٤/٣) .

(٤٤) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، (٣٤٨/٣) .

(٤٥) ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٣٣ .

(٤٦) المنتظم ، (٨٤/١٢) .

(٤٧) تاريخ بغداد ، (٣٥٠/٣) .

(٤٨) نفسه .

(٤٩) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى ، كان إمامًـا فـى علـم الحديث وغيره من العلوم ، وقد أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقتـه ، وهـو أحـد الأئمـة المجتهدين ، ولد سنة٩٥هـ ، وتوفى بالبصرة سنة ١٦١هـ .

(الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط٢ ، دار الكتـاب العربـى ، بـيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، (٣٥٦/٦) .

(٥٠) ابن العمرانى : الإنباء ، ص ١٣٣ .

(٥١) نفسه .

(٥٢) المسعودى : مروج الذهب ، (٤٣٦/٢) .

(٥٣) السَّفط : وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النسـاء . ووعـاء مـن قضبـان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها . (المعجـم الوسـيط ، عنـى بطبعـه ونشـره عبد الله الأنصارى ، دار إحياء التراث الإسلامى ، قطر ، (٤٣٣/١) .

(٥٤) المسعودى : مروج الذهب ، (٤٣٦/٢) .

(٥٥) د. حسن محمود وأحمد الشريف . العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ط٤ ، الكويت ١٩٨٠م ، ص٣٤٣ .

(٥٦) اليعقوبى : تاريخ ، بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، (٢/٥٠٥) .

(٥٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٥/٤٣١ - ٤٣٢) ، ابن العمرانى : الإنباء ص١٣٣ .

(٥٨) ابن العمرانى : نفس المصدر والصفحة .

(٥٩) انظر تفاصيل هذه الحادثة فى تاريخ الطبرى ، (٥/٣٧٠ - ٣٧١).

(٦٠) أخبار الدول المنقطعة ، ص١٩٦ .

(٦١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، (٣/٢٦) .

(٦٢) ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٣٣ .

(٦٣) اليعقوبى : تاريخه ، (٢/٥٠٥) .

(٦٤) ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٣٣ .

(٦٥) المسعودى : مروج الذهب (٢/٤٣١) .

(٦٦) كتب سعيد بن عبد الملك - وهو أحد الكتاب فى ديوان المهتدى با لله - رسالة فيها بأحد الخلفاء وقوة فصاحته وخطبته فى عيد الفطر . ومن المحتمل أنه يقصد بتلك الرسالة خليفته المهتدى با لله . وللإطلاع على نص هذه الرسالة . انظر : أحمد زكى : جمهرة رسائل العرب ، بيروت ، (٤/٢٦١) . ؛ د. شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، ط٧ ، دار المعارف ، مصر ، (٤/٥٥٤) .

(٦٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (٥/٤٣٩) ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢٠٣).

(٦٨) المسعودى : مروج الذهب ، (٢/٤٣٦) .

(٦٩) نفسه .

(٧٠) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٥/٤٦٢) .

(٧١) المسعودى : مروج الذهب ، (٢/٤٣٦) .

(٧٢) د. ضيف ا لله الزهرانى : النفقات وإدارتها فى الدولة العباسية ، ط١ ، مكة المكرمة ١٣٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص٢٩٩ .

(٧٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٥/٤٧٠) .

(٧٤) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، (٣/٣٥٠) . ؛ ابن الجوارى : المنتظم ، دراسة وتحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، بيروت ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، (١٢/٨٤) .

(٧٥) أحمد بن إسرائيل بن الحسين الأنبارى ، كان ذا مكانة رفيعة عند الخليفة المعتز ، استوزره سنة٢٥٢هـ ، فنهض بأعباء الوزارة ، وجمع بين الذكاء وسرعة الحفظ . وقد اعتمد عليه المعتز فى حساب الديوان ، ظل فى الوزارة ثلاث سنين حتى قتله صالح بن وصيف بالضرب فى عهد المهتدى با لله سنة ٢٥٥هـ .

(الذهبى : السير ، (١٢/٣٣٢ - ٣٣٣) . ؛ الصفدى : الوافى بالوفيات ، ط٢ ، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية،دار صادر، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ،(٦/٢٤٣- ٢٤٤).

(٧٦) أبو نوح عيسى بن إبراهيم ، من الكتاب المبرزين فى عهد المعتز . وقد أتهم باختلاس الأموال مع الوزير أحمد بن إسرائيل والكاتب الحسن بن مخلد ، فصودرت أموالهم ، وأمر كبير الحجاب صالح بن وصيف بضربهم ، ولقى أبو نوح حتفه بسبب ذلك ، كان لا يزال نصرانيا وذلك فى٢٧رمضان سنة٢٥٥هـ .(الطبرى:تاريخ الأمم والملوك٥/٤٣٤-٤٣٥).

(٧٧) الطبرى : نفسه ، (٥/٤٣٥) .

(٧٨) نفسه .

(٧٩) الذهبى : السير ، (١٢/٥٣٦) .

(٨٠) أبو العباس عبد ا لله بن المعتز بن المتوكل ، كان أديبًا بليغًا شاعرًا مقتدرًا مجالسًا للعلماء والأدباء ، بايعه رؤساء الأجناد ووجوه الكتاب بالخلافة فى خلافة المقتدر ، ولقبوه المرتضى با لله، وأقام فى الخلافة يومًا وليلة ، ولكن المقتدر قبض عليه وسلمه إلى القائد مؤنس الخادم فقتله فى شهر ربيع الآخر فى السنة نفسها (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، (٣/٧٦).

(٨١) اليعقوبى : تاريخه ، (٢/٥٠٥) .

(٨٢) د. عادل محيى الدين : الرأى العام فى القرن الثالث الهجرى ، ط١، ١٩٨٧م ص١٩٤.

(٨٣) حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن الإمام حماد بن زيد . أخو القاضى إسماعيل بن إسحاق ، كان حماد من أهل العلم ، ومن حفظه الحديث ، وكان فقيها على مذهب مالك ، وكان يحضر مجلس المهتدى مع غيره من الفقهاء . تولى قضاء بغداد مرة واحدة ، ومات

بالسُّوس سنة ٢٦٧هـ . (وكيع : أخبار القضاة ، (٢٨٠/٣) . ؛ الذهبى : السير ، (١٦/١٣) .

(٨٤) الأهواز : ولاية تقع بين البصرة وفارس ، وقد أطلق العرب المسلمون عليها هذا الاسم بعد فتحهم لها حيث كان الفرس يسمونها خوزستان .

(ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، تحقيق : د. محمد مخزوم ، ط١ ، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص٤٨ . ؛ ياقوت :معجم البلدان ، (٢٨٥/١) .؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٢٦٧) .

(٨٥) وكيع : أخبار القضاة ، (٢٨٠/٣) .

(٨٦) عبد الرحمن بن نائل بن نجيح البصرى ، ولاه المهتدى با لله قضاء سامراء فى ذى الحجة سنة ٢٥٥هـ بعد أن عزل القاضى الحسن بن أبى الشوارب.

(وكيع : المصدر السابق ، (٣٠٣/٣) ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٥٧/٥)؛ ابن الأثير : الكامل ، (٢١٧/٧)) .

(٨٧) الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ، ص١٩٨ .

(٨٨) ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٣٣ .

(٨٩) البيهقى: المحاسن والمساوئ، دار صادر، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ، ص٥٤٠.

(٩٠) الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مصر ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص٨٠ – ٨١ .

(٩١) الآجُرى : الشريعة ، تحقيق محمد الفقى ، ط١ ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ، ص٩١ . ؛ البُرِّى : الجوهرة ، ط١ ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، (٤٥٨/١) .

(٩٢) الرَّمْلَة : مدينة بفلسطين ، وهناك مدن أخرى تحمل الاسم نفسه مثل محلة الرملة الواقعة نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد ، رقرية الرملة بالبحرين ، والرملة كذلك محلة بسرخس فى خراسان . (ياقوت : معجم البلدان ، (٦٩/٣)

(٩٣) ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٣٤ .

(٩٤) سورة الأنبياء الآية٤٧ . هذه الرواية ساقها الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، (٣٤٩/٣) ؛ وابن العمرانى : الإنباء ، ص١٣٤ .

(٩٥) أبو بكر أحمد بن عمرو بن مُهير الشيبانى . الفقيه الحنفى ، المحدث عن وهب بن جرير وأبى عامر العقدى ، والواقدى ، وخلق كثير ، وكان الخصاف زاهدًا ورعًا . حريصًا على أن يأكل من صنعته رحمه الله ، ومات ببغداد سنة ٢٦١هـ ، وكان عمره قرابة ثمانين سنة. (الذهبى : السير ، (١٢٣/١٣ - ١٢٤) .

(٩٦) من أشهر كتبه : الحيل ، والشروط الكبير ، والرضاع وأدب القاضى ، وذرع الكعبة ، والمسجد والقبر وأحكام الوقوف ، وغيرها . (الذهبى : نفسه ، ص١٢٤) .

(٩٧) الذهبى : المصدر السابق (١٢٧/١٣ - ١٢٨) .

(٩٨) البحترى : أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى ، ولد بمنبج فى حلب سنة٢٠٦هـ ، وفيها نشأ ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله ، ويقال له : البحترى نسبة إلى بُحتر وهو أحد أجداده . وقد توفى البحترى سنة ٢٨٤هـ فى مدينة منبج مسقط رأسه .

(ياقوت : معجم الأدباء ، دار المستشرق ، بيروت - لبنان ، (٢٤٨/١٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان ، (٢١/٦) .

(٩٩) ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٣٦ .

(١٠٠) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٥ .

(١٠١) الإمام : شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال... الشيبانى المروزى البغدادى . أحد الأئمة الإعلام ، ولد فى شهر ربيع الأول سنة ١٦٤هـ ، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، كان إمامًا فى الحديث والفقه والسنة . وله مصنفات عديدة فى هذه العلوم . وكان ممن امتنع عن القول بخلق القرآن فى عهد الخليفة المأمون وتعرض نتيجة ذلك للسجن والتعذيب ، وقد أصر على موقفه فى عهد المعتصم وابنه الواثق حتى تولى المتوكل على الله الخلافة فأظهر الميل إلى السنة ، ونصر أهلها ، ورفع المحنة ، وكتب بذلك إلى الآفاق وذلك فى سنة ٢٣٤هـ . توفى الإمام أحمد محمومًا فى ربيع الأول سنة ٢٤١هـ . (الأصبهانى: حلية الأولياء ، (١٦١/٩) ؛ الذهبى : السير ، (١٧٧/١١)، العبر ، (٣٤٢/١) ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٢٠ .

(١٠٢) الآجُرّى : الشريعة ، ص٩٢ ، ٩٥ ، البرى : الجوهرى ، (٤٥٩/١ ، ٤٦١) ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٥ .

(١٠٣) البصرة : مدينة مشهورة فى جنوب العراق تقع على رأس الخليج العربى قرب مصب نهر دجلة ، (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٦٥) .

(١٠٤) المَوْصِلُ : مدينة معروفة تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة شمال العراق .

(ياقوت : معجم البلدان ، (٢٢٣/٥) . ؛ لسترنج : المرجع السابق ، ص١١٥) .

(١٠٥) سِجِسْتَانُ : ولاية جنوب خراسان . (ياقوت : المصدر السابق ، (١٩٠/٣).

(١٠٦) تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣٩/٥) .

(١٠٧) الكامل ، (٢٠٣/٧) .

(١٠٨) الذهبى : السير ، (٥٣٦/١٢) ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، ط١ ، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، (١٥٣/١) .

(١٠٩) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط١ ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، (٣٧٢/٣) .

(١١٠) المسعودى : مروج الذهب ، (٤٣٣/٢) .

(١١١) نفسه .

(١١٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣٢/٥) . ؛ ابن الأثير : الكامل ، (١٩٨/٧ - ١٩٩) .

(١١٣) تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣٢/٥) .؛ ابن كثير : البداية والنهاية،(١٧/١١).

(١١٤) الطبرى : نفسه .؛ ابن الأثير : نفسه .

(١١٥) اليعقوبى : تاريخه ، (٥٠٥/٢) .

(١١٦) سليمان عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رُزيق بن ماهان الخُزاعى، أحد أفراد الأسرة الطاهرية التى حكمت خراسان ، وكان سليمان عاملاً على طبرستان ولم يتول حكم الدولة الطاهرية حيث أصبح واليًا على الشرطة فى بغداد سنة ٢٥٥هـ ، وكانت وفاته سنة٢٦٦هـ .

(ابن الأثير : نفسه ، (١٣٠/٧ ، ٢٠١ ، ٣٣٣ .؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، (٨٣/٣) .

(١١٧) الطبرى : المصدر السابق . (٤٣٢/٥) .

(١١٨) نفسه ، (٤٣٣/٥) .

(١١٩) الدولة لطاهرية : أسسها طاهر بن الحسين الذى وُلد فى بوشنج بخراسان سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م ، وهو من أصل فارسى . وقد صعد نجمه أثناء الصراع الذى نشب بين الأمين وأخيه المأمون ، ولما استقرت الأمور فى بغداد للمأمون اختار طاهر بن الحسين وعهد إليه بحكم المشرق سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م . وأقام طاهر فى مدينة مرو بخراسان التى أصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة للدولة الطاهرية . وتوفى طاهر سنة ٢٠٧هـ ، وتدرج أفراد أسرته فى حكم تلك الدولة حتى سقوطها سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣م .

وللإطلاع على تفاصيل واسعة عن قيام هذه الدولة . انظر : د. فتحى أبو سيف : المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلال ، القاهرة ١٩٧٨م ، ص٩٥ - ١٣٨ .؛ عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور ، القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص١٣ -١٨) .

(١٢٠) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣٦/٥) .

(١٢١) محمد بن أوس البلخى . كان الغالب على أمر سليمان آل طاهر أيام ولايته على طبرستان . وكان محمد قد فرق أولاده فى مدن طبرستان وهم أحداث سفهاء ، فتأذى بهم الرعية . وقد قدم محمد على رأس جند خراسان الموالين الطاهرية إلى بغداد وذلك سنة ٢٥٥هـ. ومنذ سنة ٢٦٤هـ انقطعت أخبار ابن أوس ولا نقف له على سيرة . (ابن الأثير : الكامل ، (١٣٠/٧ ، ٢٠٢ ،٢٧٦ ، ٢٩١ ، ٣١٠) .

(١٢٢) ابن الأثير : نفسه ، (٢٠٢/٧) .

(١٢٣) نفسه ، (٢٠٢/٧ - ٢٠٣) .

(١٢٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣٣/٥) .

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ، (٢٠٠/٧) .

(١٢٦) المعتمد على الله : هو أبو العباس أحمد بن المتوكل ، بويع له فى رجب سنة ٢٥٦هـ ، وتوفى بغداد فى رجب سنة ٢٧٩هـ . (الأزدى : أخبار الدولة المنقطعة ، ص١٩٩).

(١٢٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٣٣/٥) .؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٤ .

(١٢٨) الطبرى : نفسه ، (٤٤١/٥) .

(١٢٩) زعم صاحب الزنج أن اسمه ونسبه : على بن محمد بن أحمد بن على بن عيسى ابن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وذكر البعض أن اسمه : على بن محمد بن عبد الرحيم ، ونسبه فى عبد القيس ، وأنه وُلد ونشأ فى إحدى قرى مدينة الرى (طهران حاليًا) وكان قبل ظهور حركته وإعلان زعامته للزنج يتنقل بين سامراء والبحرين وهجر ومناطق البادية لنشر أفكاره وادعاءاته بين سكان هذه البلاد . ولمعرفة أوسع التفاصيل عن حركة الزنج . طالع : (الطبرى : المصدر السابق ، (٥/٤٤١ ، ٤٥٧) .؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، (١١/١٨ - ١٩) .

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢٠٥) .

(١٣١) اليعقوبى : تاريخه ، ٥٠٦ .؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٥/ ٤٤٣) .

(١٣٢) د. بدر عبد الرحمن محمد : الدولة العباسية ، مصر ، ص١٥٨ .

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢٠٩) .

(١٣٤) ابن الأثير : نفسه ، (٧/٢١٤ - ٢١٥) .

(١٣٥) د. بدر عبد الرحمن محمد : الدولة العباسية ، ص١٦١ .

(١٣٦) الطبرى : تاريخ الأم والملوك ، (٥/٤٣٢) .

(١٣٧) نهر الريان : أحد الأنهار الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة جنوب العراق. (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٦٩) .

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢١١) .

(١٣٩) أظهر جُعْلان عجزه للخليفة فى التصدى لصاحب الزنج داخل البصرة ، فصرفه عن حرب الزنج وأسند الخليفة هذه المهمة لقائد تركى آخر يدعى سعيد الحاجب . أما أبو الأحواص الباهلى فقد لقى مصرعه أثناء هجوم الزنج على الأبلة فى أواخر شهر رجب سنة ٢٥٦هـ. (الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٥/٤٥٧ ، ٤٧٦ - ٤٧٧) .؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، (٧/ ٢٣٦) .

(١٤٠) الطبرى : نفسه ، (٥/٤٥٧) .

(١٤١) ياقوت : معجم البلدان ، (١/٧٧) .

(١٤٢) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، تحقيق حسن عبد الوهاب ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦م ، ص٥ .

(١٤٣) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط٢ ، ليدن ١٩٠٩م ، ص١٢٨.

(١٤٤) أحمد على : ثورة الزنج ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ص١٠٤ .؛ د. بدر عبد الرحمن : الدولة العباسية ، ص١٧٠ .

(١٤٥) د. عادل الألوسى : الرأى العام فى القرن الثالث الهجرى ، ص١٦٢.

(١٤٦) يعقوب بن الليث ، مؤسس الدولة الصفارية ، وقد حكمت منطقة إيران خمسًا وأربعين سنة (٢٥٣ - ٢٩٨هـ/٨٦٧ - ٩١٠م) ، وكان يعقوب نحاسًا فعُرف بلقب الصفار ، ثم برز كقائد عسكرى فى إقليم سجستان سنة ٢٥٣هـ ، ومات يعقوب سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م ، ثم خلفه أخوه عمرو بن الليث فى حكم هذه الدولة .

انظر : ستانلى لين بول : الدول الإسلامية ، ترجمة محمد صبيحى فرزات ، دمشق ، (٢٦٣/١) .؛ د. على المحيميد : دراسات فى تاريخ المشرق الإسلامى، ط١ ، الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ص٩ .

(١٤٧) ابن الأثير : الكامل ، (١٨٤/٧) .

(١٤٨) كرمان : ناحية تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . ياقوت : معجم البلدان ، (٤٥٤/٤) .

(١٤٩) فارس : ولاية تقع جنوب إيران حاليًا وكانت قصبتها شيراز (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٢٨٣) .

(١٥٠) بدأ ظهور الخوارج فى الموصل سنة ٧٦هـ/٦٩٥م ، وكانوا بقيادة صالح بن مُسرح التميمى . وقد دعا صالح أصحابه إلى الخروج على طاعة أمير المؤمنين ، وإنكار الظلم ، وجهاد المخالفين لهم . وقد قاموا بعدة حركات فى العصر العباسى كان أولها سنة ١٣٧هـ فى عهد أبى جعفر المنصور .

انظر : ابن الأثير : الكامل ، (٣٩٣/٤) ؛ ابن خلدون : العبر ، (١٩٠/٣) .

وللإطلاع على مزيد من المعلومات عن حركات الخوارج فى الموصل . انظر : سعيد الديوه جى : تاريخ الموصل ، مطبوعات المجمع العراقى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م (٦٧ ، ٧٦) .

(١٥١) مُساور بن عبد الحميد بن مساور الشارى البجلى الموصلى . كان مبدأ خروجه بالبوازيج فى الموصل سنة ٢٥٢هـ . ومنذ ذاك التاريخ قاد عددًا من ثورات الخوارج هناك ضد الخلافة العباسية حتى سنة ٢٦٣هـ (ابن الأثير : الكامل ، (١٧٤/٧ ، ٣٠٩) .

(١٥٢) ابن الأثير : نفسه ، (٢٠٥/٧) .

(١٥٣) الحديثة : بليدة كانت تقع على الجانب الشرقى لنهر دجلة قرب الزاب الأعلى، وتسمى حديثة الموصل تمييزًا لها عن حديثة الفرات . (ياقوت : معجم البلدان ، (٢٣٠/٢) . لسترنج : بلدان الخلافة ، ص١١٩) .

(١٥٤) لم تذكر المصادر التى لدينا سوى أنه كان أمير الموصل وقت استيلاء مساور الخارجى عليها سنة ٢٥٥هـ . (ابن الأثير : الكامل ، (٢٠٥/٧)

(١٥٥) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة .

(١٥٦) نفسه .

(١٥٧) نفسه ، ص٢٠٥ ، ٢١٥ .

(١٥٨) عُبَيْدة من بنى زهير العمروى . (ابن الأثير : نفسه ، ٢٢٦/٧) .

(١٥٩) نفسه .

(١٦٠) نفسه ، ص٢٢٦ - ٢٢٧ .

(١٦١) خراسان : هو الإقليم الشرقى من بلاد فارس ، وهى حاليًا قسمة بين إيران وأفغانستان وجزء منها يتبع روسيا . (محمود شاكر : تركستان ، بيروت ، ص٢٦) .

(١٦٢) أذربيجان : هى الدولة المعروفة الأن بجمهورية أذربيجان الواقعة فى منطقة القفقاس ، عاصمتها مدينة (باكو) . (محمود شاكر : تركستان ، ص١٠٨) .

(١٦٣) نيسابور: إحدى مدن خراسان، وقد أصبحت حاضرة ذلك الإقليم بعد مدينة مرو. (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٤٢٤) .

(١٦٤) ياقوت : معجم البلدان ، (٢٢٣/٥) .

(١٦٥) هو أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا ، لقى مصرعه فى صعيد مصر سنة ٢٥٥هـ . (ابن الأثير : الكامل ، ٢١٧/٧) .

(١٦٦) بَرْقة : اسم ناحية كبيرة تشتمل على مدن وقرى تقع بين الإسكندرية وإفريقية. (ياقوت : معجم البلدان ، (٣٨٨/١) .

(١٦٧) الصعيد : بلاد واسعة فى مصر تشتمل على مدن عدة أهمها أسوان فى أقصى الجنوب . (ياقوت : المصدر السابق ، (٤٠٨/٣) .

(١٦٨) الأمير التركى أبو العباس أحمد بن طولون ، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ، كان الخليفة المعتز قد ولاه على مصر ، ثم استولى على الشام فى مدة اشتغال الموفق بحرب صاحب الزنج . ولُد أحمد بسامراء سنة ٢٢٠هـ ، وتوفى فى مصر سنة ٢٧٠هـ (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، (١/١٧٣ - ١٧٤) .

ولمزيد من التفاصيل عن الدولة الطولونية . انظر : د. محمد أحمد زيود : العلاقات بين الشام ومصر فى العهدين الطولونى والأخشيدى ، ط١ ، دمشق ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

(١٦٩) ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢١٧) .

(١٧٠) هو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد على بن أبى طالب ويُعرف بابن الصوفى . (ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢٣٧) .

(١٧١) إسنا : مدينة بأقصى صعيد تقع على الشاطى الغربى لنهر النيل . (ياقوت : معجم البلدان ، (١/١٨٩) .

(١٧٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، (٣/٧) .

(١٧٤) ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢٣٩) .

(١٧٥) عيسى بن الشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهل الشيبانى ، عقد له الخليفة المستعين سنة٢٥٢هـ على مدينة الرملة ، ثم استولى على فلسطين كلها ، وتغلب على دمشق وأعمالها . ولكنه تنكر للخلافة واستبد بالأموال ، وحارب جيش الخلافة فى عهد المعتمد على الله ، ولما انهزم سار إلى أرمينية حيث توفى فيها سنة ٢٦٩هـ . (ابن الأثير : الكامل ، (٧/١٧٦ ، ٢٣٨ ، ٣٩٧) .

(١٧٦) ابن الأثير : نفسه ، (٧/٢٣٨) .

(١٧٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٥/٤٦١) .

(١٧٨) الرى مدينة تقع فى الطرف الشمالى الشرقى من إقليم الجبال ، قامت على أنقاضها مدينة طهران عاصمة إيران حاليًا . (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٢٤٩ - ٢٥٢) .

(١٧٩) الطبرى : نفسه ، (٥/٤٤٠) ؛ ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢٠٤)

(١٨٠) الحسن بن زيد بن إسماعيل بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على أبى طالب مؤسس الدولة الزيدية فى طبرستان سنة ٢٥٠هـ ، وقدحكم حوالى عشرين سنة حتى

وفاته سنة ٢٧٠هـ ، ثم خلفه أخوه محمد بن زيد (ابن الجوزى : المنتظم ، (٣٤/١٢) ؛ ابن الأثير : الكامل ، (٤٠٧/٧) .

(١٨١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٤١/٥) .

(١٨٢) أبو القاسم عبد الله بن الواثق ، ظهر على مسرح الحوادث السياسية فى خلافة أخيه المهتدى بالله. ولم يجلس على عرش الخلافة قط. (ابن الأثير: الكامل،(٢٢١/٧-٢٢٤).

(١٨٣) ابن الأثير : نفسه ، (٢٢٣/٧) .

(١٨٤) موسى بن بغا الكبير . ابن خالة الخليفة المتوكل . كان أحد قواد الأتراك البارزين فى الدولة العباسية منذ عهد المتوكل ، وقد سطع نجمه فى خلافة المعتمد على الله . (ابن الأثير : نفسه ، (٩٨/٧ ، ٢٩١ ، ٣٠٥) .

(١٨٥) الطبرى : تاريخ الأمم والموك ، (٤٥٨/٥) .

(١٨٦) نفسه .

(١٨٧) نفسه ، (٤٦١/٥) .

(١٨٨) نفسه ، (٤٦٠/٥) .

(١٨٩) نفسه ، (٤٦٦/٥ - ٤٦٧) .

(١٩٠) نفسه ، (٤٤١/٥) .

(١٩١) ابن الأثير : الكامل ، (٢٢٨/٧) .

(١٩٢) نفسه .

(١٩٣) ابن العمرانى ، الإنباء ص١٣٦ .

(١٩٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٦٨/٥) ، ابن الأثير : الكامل ، (٢٢٨/٧) .

(١٩٥) الطبرى : نفسه ، (٤٦٨/٥ - ٤٦٩) .

(١٩٦) أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراسانى ، كانت ولادته سنة ١٠٠هـ ، فى إحدى قرى خراسان ، وأخذ يدعو للعباسيين سنة ١٢٩ هـ . لقى أبو مسلم مصرعه سنة ١٣٧ هـ على يد أبى جعفر المنصور بسبب خلافات حادة نشبت بينهما .

(ابن خلكان : وفيات الأعيان ، (١٤٥/٣ - ١٥٥) .

(١٩٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك،(٤٦٩/٥)، ابن كثير: البداية والنهاية، (٢٢/١١) .

(١٩٨) ابن العمرانى : الإنباء ، ص١٣٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، (٢٢٩/٧) .

(١٩٩) ابن الأثير : الكامل ، (٢٣٠/٧) .

(٢٠٠) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (٤٧٦/٥) .

(٢٠١) نفسه ، (٤٦٣/٥) .

(٢٠٢) نفسه ، (٤٨٠/٥ ، ٤٨٨) .

(٢٠٣) نفسه ، (٥٠٢/٥) .

(٢٠٤) المعتضد بالله : أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن المعتصم ، ويكنى : أبا العباس ، ولد بسامراء سنة ٢٤٣هـ ، وبويع له بالخلافة سنة ٢٧٩هـ .

(ابن الجوزى : المنتظم ، (٣٠٦/١٢) ؛ ابن الأثير : الكامل ، (٤٤٤/٧) .

(٢٠٥) الطبرى : نفسه ، (٦٠٤/٥) .

(٢٠٦) ابن الجوزى : المنتظم ، (١٠٨/١٢) .

(٢٠٧) خانقين : بلدة تقع شرق مدينة جلولاء . ويمر به حاليًا الطريق الذى يربط بين بغداد وإيران . (ياقوت : معجم البلدان ، (٣٤٠/٢) ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٨٧) .

(٢٠٨) ابن الأثير : الكامل ، (٢٤٠/٧) .

(٢٠٩) على بن زيد العلوى ، صاحب الكوفة ، قتله قائد الزنج سنة ٢٦٠هـ (الطبرى : تاريخ الأمم والملوك . (٤٩٩/٥) .

(٢١٠) الطبرى : نفسه . (٤٧٨/٥) .

(٢١١) جرجان : إقليم يقع فى جنوب شرقى بحر قزوين (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٤١٧) ، ولمزيد من المعلومات عن هذه الأحداث انظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٧٨/٥ ، ابن الأثير : الكامل ، (٢٤٨/٧) .

(٢١٢) عبد العزيز بن أبى دلف القاسم بن عيسى العجلى ، كان والده أبو دلف أحد قواد المأمون ثم المعتصم . وقد عهدت الخلافة سنة ٢٥٢هـ إلى الأمير عبد العزيز بحكم بلاد الجبل، ولقى هذا مصرعه سنة ٢٦٥هـ . (ابن الأثير : الكامل ، (٧ / ١٧٦ ، ٣٢٧) : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، (٧٣/٤).

(٢١٣) ابن الأثير : الكامل ، (٧/٢٤٠ ، ٢٤٩) .

(٢١٤) أحمد بن محمد بن عبيد الله بن المدبر الضبى ، كان والى الخراج فى مصر فلما قدمها ابن طولون سنة ٢٥٤هـ كف يده عن الخراج ، وقبض عليه ، وسجنه ، ثم أمر بقتله سنة ٢٧٠هـ (ابن الأثير: نفسه،(٨٧/٧)، الذهبى: السير إعلام النبلاء، (١٢٥/١٣-١٢٦).

(٢١٥) أرمينية : ناحية واسعة تنقسم إلى قسمين : آرمينية الكبرى وعاصمتها خلاط ، والصغرى عاصمتها تفليس . أما حدود آرمينية الحديثة فيحدها من الشمال جمهورية جورجيا ، ومن الجنوب إيران ، ومن الغرب تركيا ، ومن الشرق جمهورية أذربيجان . (ياقوت الحموى: معجم البلدان ، (١/١٥٩ - ١٦٠) ؛ مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، ط١ ، بيروت ١٩٨٢م ، ص٥٧٥) .

(٢١٦) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، (٥/ ٤٧٩)، ابن الأثير: الكامل، (٢٣٨/٧).

(٢١٧) سعد أحمد بن سعد الباهلى ، ظهر فى البطائح ، وحاول أن يتغلب عليها سنة ٢٥٧هـ ، ولكن الخلافة أرسلت إليه القائد أحمد المولد ، فقبض عليه وضرب حتى مات .

ابن الأثير : نفسه ، (٢٤٨/٧) .

(٢١٨) البطائح : ناحية فى العراق تقع بين مدينتى واسط والبصرة .

ياقوت : معجم البلدان ، (٤٥٠/١) .

(٢١٩) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، (٤٨٧/٥) ؛ ابن الأثير : الكامل، (٢٤٨/٧).

(٢٢٠) ابن الأثير : نفسه ، (٧/ ٢٤٧ ، ٢٩٠) .

المصـــادر والمراجـــع

أولاً : المصـــادر :

- ابن الأثير : عز الدين على بن محمد الشيبانى (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ابن تغرى بردى: جمال الدين أبى المحاسن يوسف(ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م).
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة .
- ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .
المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، دراسة وتحقيق محمد ومصطفى عطا ، ط١ ، بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ابن خرداذبة : أبو القاسم عبد الله بن عبد الله(ت٣٠٠هـ / ٩١٢م) .
المسالك والممالك ، تحقيق محمد مخذوم ، ط١ ، بيروت ١٩٨٨م .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) .
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط١ ، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت.
- ابن دقماق : إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ) .
الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، ط١، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ،
- ابن طباطبا : محمد بن على بن الطقطقى (ت ٧٠٩هـ) .
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت .

- ابن العمرانى : محمد بن على بن محمد (ت فى حدود سنة ٥٨٠هـ)
الإنباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق د. قاسم السامرائى ، ط٢، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١١٩٨م.
- ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
المعارف ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، ط٢ ، مصر .
- ابن كثير : أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر الدمشقى (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
البداية والنهاية ، ط٦ ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- الآجرى : أبو بكر محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ) .
الشريعة، تحقيق محمد حامد الفقى، ط١ ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
- الأزدى : جمال الدين على بن ظافر (ت٦١٣هـ / ١٢٧٦م) .
أخبار الدول المنقطعة ، تاريخ الدولة العباسية ، تحقيق ودراسة د. محمد الزهرانى ، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- الأصبهانى : الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)
حلية الأولياء وطبقات الآصفياء ، ط٢ ، بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- البرى : محمد بن أبو بكر بن عبد الله الأنصارى التلمسانى .
الجوهرة فى نسب النبى ﷺ وأصحابه العشرة، ط١ ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- البيهقى : إبراهيم بن محمد (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) .
المحاسن والمساوئ ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- الجاحظ : عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) .
كتاب التبصر بالتجارة ، تحقيق حسن عبد الوهاب ، القاهرة ١٩٦٦م .
- الخطيب البغدادى : أبو بكر أحمد بن على (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) .
تاريخ بغداد، بيروت .

- الذهبى : الإمام شمس الدين محمد بن أحد (ت٧٤٨هـ / ١٣٧٤م) .
سير إعلام النبلاء ، ط١٠ ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ . العبر فى خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد بن بسيونى ، بيروت .
- السيوطى : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ)
تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت .
- الصفدى : خليل بن أيبك (ت٦٧٤هـ).
الوافى بالوفيات، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- الطبرى : محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) .
تاريخ الأمم والملوك ، ط٢ ، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ) .
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط٣ ، مصر ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
- المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مصر ١٣٤٦هـ .
- المعجم الوسيط ،مجمع اللغة بالقاهرة ، ١٩٦٠ .
- المقدسى : أبو عبد اله محمد بن أحمد (ت ٣٧٨هـ / ٩٧٨م) .
أحسن التقاسيم فىمعرفة الإقاليم ، ط٢ ، دارصادر ، بيروت ، ليدن ١٩٠٩م.
- النيسابورى : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) .
صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء الكتب العربية .
- وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ / ٩١٨م) .
أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت .
- ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الملك الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .
. معجم الأدباء ، بيروت ، لبنان .
معجم البلدان ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

- اليعقوبى : أحمد بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) .
تاريخ اليعقوبى، بيروت ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

ثانيـًا : المراجــع :

- أحمد زكى : جمهرة رسائل العرب ، بروت .
- أحمد على : ثورة الزنج ، مكتبة الحياة ، بيروت .
- بدر عبد الرحمن محمد : الدولة العباسية ، مصر .
- د. حسن محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ط٤ ، الكويت ١٩٨٠م .
- ستانلى لين بول : الدول الإسلامية ، ترجمة محمد صبيحى فرزات ، دمشق .
- سعيد الديوه جى : تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمى العراقى١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- د. شوقى ضيف : تاريخ الآدب العربى ، ط٧ ، دار المعارف ، مصر .
- د. ضيف ا لله الزهرانى : النفقات وإدارتها فى الدولة العباسية ، ط١ ، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- عادل محى الدين الألوسى : الرأى العام فى القرن الثالث الهجرى ، ط١ ، ١٠٨٧م.
- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور ، القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- د. على المحيميد : دراسات فى تاريخ المشرق الإسلامى ، ط١ ، الرياض ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- عمر رضا كحالة : إعلام النساء ط٣ ، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

- د. فتحى أبو سيف : المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلال ، القاهرة ١٩٧٨م .
- لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط٢، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- د. محمد أحمد زيود : العلاقات بين الشام ومصر فى العهدين الطولونى والأخشيدى، ط١ ، دمشق ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- محمد شاكل : تركستان ، بيروت .
- مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، ط١ ، بيروت ١٩٨٢م .